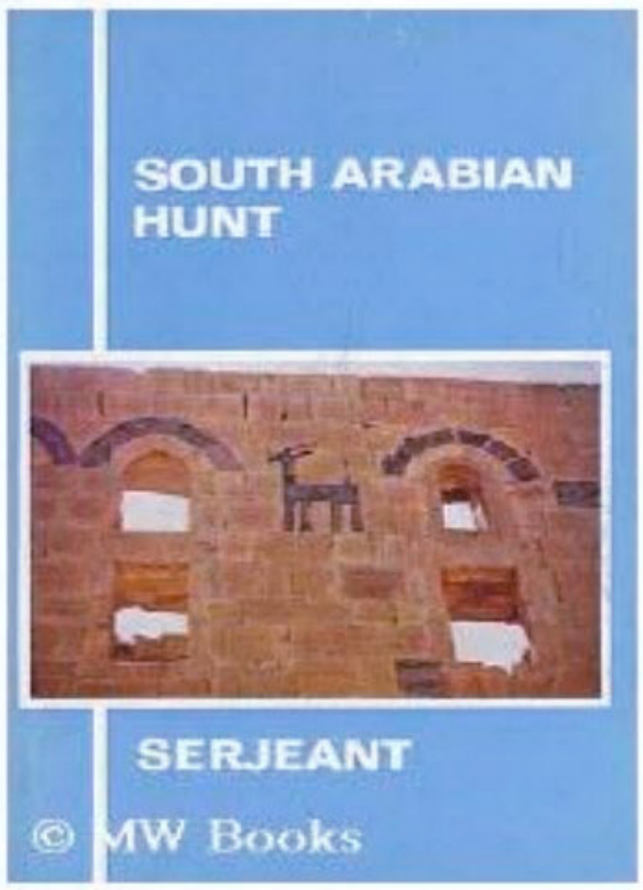
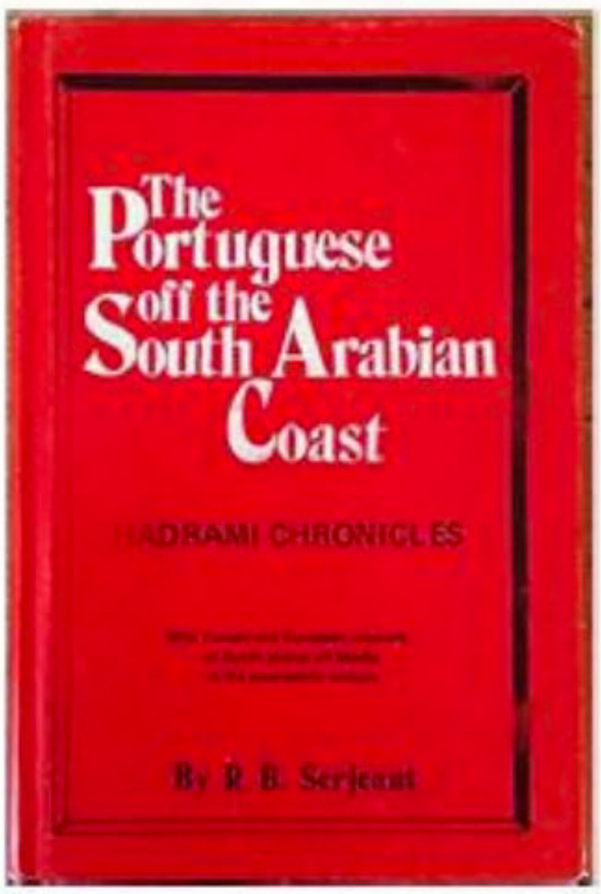
حضرموت

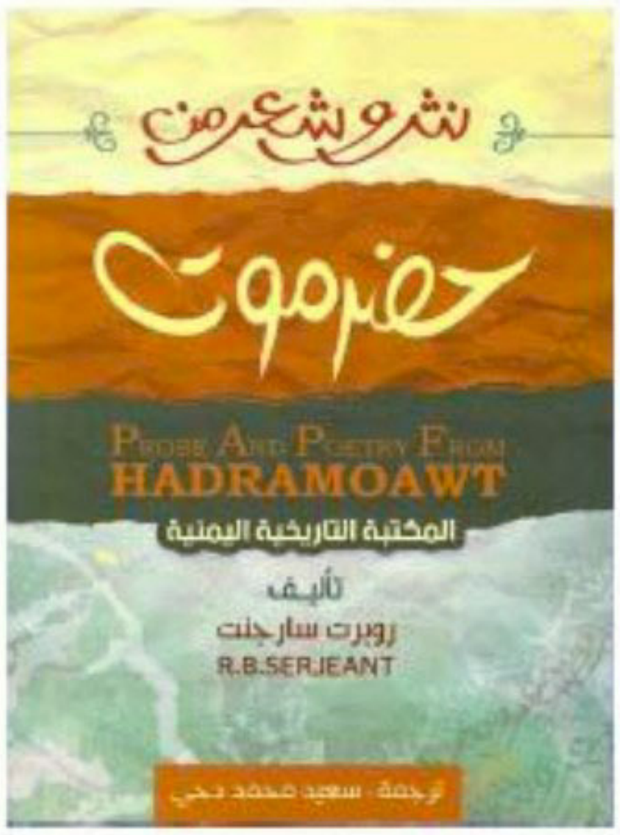
في كتابات روبرت سرجانت













تأليف أ.د. مسعود عمشوش

أستاذ الأدب العام والمقارن – جامعة عدن

2023

حضرموت

في كتابات روبرت سرجانت

أ.د. مسعود عمشوش

أستاذ الأدب العام والمقارن – جامعة عدن

2023

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 2023

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب – حضرموت 2023/262

العنوان: حضرموت في كتابات روبرت سرجانت

المؤلف: أ. د. مسعود سعيد عمشوش

المقاس: 14 × 21 سم

عدد الصفحات: 138

يمنع طباعة أو تصـــوير هذه المطبـــوعة أو أجزاء منها، أو حفظها أو نسخها على الوسائط الإلكترونية من غير موافقة مسبقة من المؤلف

مركز مهارات للتدريب والدراسات والترجمة والنشر

mahaaratcentre@gmail.com

عدن

الفهرس

المقدمة 5

من هو سرجانت؟ 11

قراءة في كتاب (نثر وشعر من حضرموت) 15

قراءة في كتاب (دراسات حول مصادر التاريخ الحضرمي) 31

قراءة في كتاب (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي) 41

قراءة في كتاب (الصيد في الجنوب العربي) 62

ترجمات: 69

(1) فهرس كتاب (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي) 69

(2) مقدمة كتاب (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي) 72

(3)الشحر في الفترة البرتغالية 79

(4)سياسة آل كثير تجاه البرتغاليين والأتراك 83

(5)التجار اليهود والهنود والأفارقة في جنوب الجزيرة العربية 92

من مختارات سرجانت النثرية والشعرية 95

المقدمة

لماذا اهتم الغربيون بتاريخ حضرموت وأدبها الشعبي؟

إثر أحداث 11 سبتمبر 2001، قررت الولايات المتحدة الأمريكية إرسال عددٍ كبيرٍ من عناصر استخباراتها إلى حضرموت لدراسة لهجة البلاد والتعرف على طريقة تفكير الحضارم في تلك الفترة، وذلك بعد أن تبيّن لها أن بعض الطيارين الذين اشتركوا في هجمات 11 سبتمبر كانوا يستخدمون تلك اللهجة، وتسربّت تلك العناصر الاستخباراتية الغربية إلى داخل مختلف المعاهد والحلقات الدينية الموجودة في وادي حضرموت، وفي كثير من الأحيان بذريعة انتسابها إلى هذا المذهب الديني أو ذاك. وحرصت الاستخبارات الغربية على اختيار تلك العناصر من بين مواطنيها الملونين: آسيويين وسود، ومن النادر أن يكون بينهم بيض.

وفي الحقيقة، لم يكن سعي الدول الاستعمارية الغربية إلى دراسة حضرموت وأهلها ولهجاتهم وعاداتهم أمرا جديدا، فمن المعلوم أن هولندا قد كلفت الضابط المستعرب فاد دربيرخ برفع تقرير عن حضرموت سنة 1885، ونشر منه نسخة باللغة الفرنسية سنة 1886 بعنوان (حضرموت والمستوطنات العربية في الأرخبيل الهندي، انظر ترجمتنا للكتاب). وفي مطلع ثلاثينيات القرن

الماضي كلفت هولندا قنصلها في جدة، فان دن ميولن، بزيارة حضرموت ورفع تقارير عن سكانها، الذين ترى أن جزءا منهم رعايا لها (انظر كتابنا: حضرموت في كتابات الغربيين). وقبل أن توقع بريطانيا معاهدات الاستشارة مع سلطنتي حضرموت في نهاية ثلاثينيات القرن الماضي كلفت الضابط هارولد انجرامز برفع تقارير مختلفة عنها، وقد استفاد انجرامز كثيرا من تقرير فان در بيرخ .

ومن المؤكد كذلك أن الدول الغربية قد حرصت على استقطاب عددٍ من العلماء المستعربين والرحالة المغامرين للعمل ضمن دوائرها الاستخباراتية العاملة في حضرموت؛ ففان دن بيرخ وفان در ميولن وهارولد انجرامز وروبرت سرجانت كانوا في الأساس علماء مستعربين، وتحمّسوا للعمل مع المؤسسات الاستخباراتية ليتمكنوا من القيام بدراسات ميدانية تدخل ضمن طموحاتهم وتخصصاتهم العلمية.

وهناك مجموعة من الرحالة المغامرين الغربيين، عسكريين ومدنيين، الذين جاءوا إلى جنوب الجزيرة العربية وانتهى بهم الأمر بالعمل ضمن المؤسسات الاستخباراتية البريطانية، مثل جورج وايمان بُري (الملقب علي منصور) وفريا ستارك، وكتبوا نصوصا مهمة حول رحلاتهم في بلادنا.

ومن بين هؤلاء المستعرب السويدي الكونت كارلو دي لاندبرج، الذي عينته جامعة النمسا مشرفا لبعثتها لدراسة لهجات جنوب الجزيرة العربية في نهاية القرن التاسع عشر، وكتب مجلدات عدة حول لهجة حضرموت ولهجة دثينة. وقد ضمّن كتابه عن (لهجة حضرموت، سنة 1900)، مجموعة مهمة من النصوص النثرية والشعرية باللغة العامية. وفي سنة 2020 قمت بإصدار كتاب عن (لهجة حضرموت في كتابات الكونت كارلو دي لاندبرج) ضمنته جميع النصوص الشعرية والنثرية الحضرمية التي ضمنها في كتابه، والتي اطلع عليها المستعرب روبرت سرجانت قبل مجيئه إلى حضرموت في شتاء 1947-1948 بتكليف من إدارة المستعمرات البريطانية، لدراسة لهجة حضرموت وأدبها ومجتمعها، وذلك بهدف إحكام السيطرة عليها.

وبالنسبة لروبرت سرجانت، فقد بيّن لنا سبب مجيئه إلى حضرموت سنة 1947 في مقدمة كتابه (نثر وشعر من حضرموت، 1951)، وذلك على النحو الآتي: "خلال عام 1947-1948 تم اختياري عضوا باحثا في شئون المستعمرات للقيام بالعمل في حضرموت؛ فتوجهت بصحبة زوجتي إلى تريم عن طريق المكلا، حيث مكثنا حوالي سبعة أشهر، قمنا خلالها بزيارة عينات وقسم وقبر هود وسيئون ..إلخ. وكان الهدف من أبحاثي تلك تقديم دراسة عن مظاهر الحياة والحضارة في حضرموت من خلال اللغة التي يتحدث بها أهل تلك البلاد (العامية)، وتقديم حقائق وبيانات

صحيحة وثابتة ذات صبغة موضوعية، وليست ذاتية. وتنفيذا لهذا الهدف ركزتُ على جمع قصائد من الشعر العامي، وقمت بفحص ما عثرت عليه من مخطوطات في المكتبات. وقمت أيضا بجمع مجموعة من الوثائق المتعلقة بالقانون القبلي والتركيبة الاجتماعية للبلاد. وقد أجريت تلك الأبحاث والدراسات في مناطق الحضر والمدن أكثر من المناطق البدوية والقبلية".

هذا الكتاب:

من المؤكد أن الباحث المستعرب روبرت سرجانت قد ركّز في دراساته وكتبه على جنوب الجزيرة العربية بشكل عام، وعلى حضرموت بشكل خاص. واليوم يعدّ الغربيون تلك الدراسات والكتب مراجع موثوقة في شئون بلادنا: تراثها وتاريخها وأدبها ولهجتها. ومع ذلك، في الوقت الذي حظي فيه الضابط السياسي هارولد انجرامز باهتمام عددٍ من الباحثين والأكاديميين الحضارم، لم يهتم أحد منهم، حسب علمنا، بكتابات سرجانت حول حضرموت، وذلك على الرغم من أنها قد أسهمت كثيرا في توجيه الباحثين الحضارم ودفعتهم إلى الاهتمام بمخطوطاتهم

وتاريخهم وتراثهم الأدبي واللغوي. وهذا ما دفعنا إلى تكريس هذا الكتاب المتواضع لتسليط الضوء على الكتب الأربعة التي تناول فيها سرجانت جوانب عدة من تاريخ حضرموت وأدبها ولهجتها. فبعد أن قدمنا بعض المعلومات عن شخصية المستعرب روبرت سرجانت، قمنا بقراءات تحليلية وتقييمية لكل من الكتب الأربعة التي كرسها لحضرموت؛ وهي: (نثر وشعر من حضرموت)، و(دراسات حول مصادر التاريخ الحضرمي)، و(البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي)، و(الصيد في الجنوب العربي) .

وبما أن الكتاب الثالث (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي) لم يُترجَم بعد إلى اللغة العربية، فقد ضمنا هذا الكتاب ترجمة لفهرسه ومقدمته، وترجمة لثلاثة أجزاء مهمة منه، قدم المؤلف في الأول منها ميناء الشحر في فترة الحملات البرتغالية (القرن السادس عشر)، وتناول في الثاني سياسة آل كثير وتحديدا السلطان بدر بن عبد الله بوطويرق تجاه البرتغاليين والأتراك، وقدّم في الثالث منها معلومات مقتضبة عن التجار اليهود والهنود والأفارقة في جنوب الجزيرة العربية.

وألحقنا بالكتاب تسعة نماذج من النصوص النثرية والشعرية (45 نصا) التي وردت في الجزء الثاني من كتاب (نثر وشعر من حضرموت). ونتمنى أن يحفز هذا الكتاب الباحثين الحضارم، لاسيما في برامج الدراسات العليا في أقسام التاريخ واللغة العربية وآدابها، على القيام بدراسات تتناسب مع الأهمية البالغة التي تنطوي عليها كتابات روبرت سرجانت حول حضرموت.

والله من وراء القصد.

مسعود عمشوش

عدن 12 **مارس** 2023

من هو روبرت سرجانت؟

روبرت بيرترام سرجانت باحث ومستعرب أسكتلندي، ولد في 23 مارس سنة 1915. وفي سن السابعة عشرة التحق بقسم الدراسات الإسلامية في جامعة ادنبره، وحصل منه سنة 1936، على درجة الماجستير بدرجة الشرف في اللغات السامية، تحت إشراف ريتشارد بيل. ثم انتقل إلى كلية ترينيتي، بجامعة كامبريدج، وأكمل أطروحة الدكتوراه فيها عن (المنسوجات الإسلامية) تحت إشراف البروفيسور ك. استوري سنة 1939.

وفي سنة 1940 انتقل للعمل في مستعمرة عدن، وتمّ تعيينه ضابطا في حرس حكومة عدن، وأمضى بضعة أشهر في منطقة الصبيحة التابعة لمستعمرة لعدن. وفي سنة 1941، عاد إلى بريطانيا وعمل بقسم التحرير في القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية. وفي العام نفسه تزوج من الطبيبة ماريون روبرتسون. وعندما انتهت الحرب، عاد إلى حياته الأكاديمية في School of Oriental and African Studies.

وفي سنة 1947 كلفته الحكومة البريطانية بالذهاب إلى حضرموت للقيام ببعض الأبحاث الميدانية حول اللهجة والمجتمع هناك، وقد استفاد كثيرا من البحّاثة الحضرمي (رحيّم)، الذي

وضع تحت تصرفه كراساته الشهيرة. كما قام بجمع عدد كبير من المخطوطات الخاصة بتاريخ حضرموت. وكان من أهم ثمرات زيارته البحثية في حضرموت كتابه (نثر وشعر من حضرموت) الذي نشره عام 1951، وقام بترجمته إلى اللغة العربية المرحوم سعيد دحي في السبعينيات من القرن الماضي.

ثم عاد سرجانت لبريطانيا وعمل محاضرا للتاريخ الإسلامي بجامعة كامبردج، ومديرًا لمعهد الشرق الأوسط من سنة 1955 إلى سنة 1964، حينما انضمّ إلى صفوف الملكيين الذين كانوا يقاتلون ضد الجمهوريين في شمال اليمن. ومن سنة 1970 شغل منصب كرسي سير توماس آدامز للغة العربية بجامعة كامبردج، وظل فيه إلى سنة تقاعده : 1981.

وزار سرجانت حضرموت مرة أخرى سنة 1992، والتقى خلال تلك الزيارة بعدد من الأدباء والكتاب والشخصيات الاجتماعية في مدينة سيئون. وفي 29 إبريل 1993 توفي روبيرت سرجانت في حديقة بيته في سانت اندروز بأسكوتلندا. وبعد وفاته أهدت أرملته مكتبته التي تضم 5000 مجلدا عن حضرموت والإسلام والوطن العربي، ومخطوطاته غير المنشورة لجامعة ادنبره.

ومن أهم أعمال روبرت سرجانت:

- سنة 1951 نشر كتاب (Prose and Poetry from Hadramoutنثر وشعر من حضرموت)، في لندن باللغة

الإنجليزية، وترجمه سعيد محمد دحي إلى اللغة العربية سنة 1976.

- بين سنة 1951 وسنة 1976 نشر سرجانت عددا من الدراسات حول تاريخ حضرموت ومؤرخيها، وقام الدكتور سعيد عبد الخير النوبان بترجمة خمس منها في كتاب نشرته جامعة عدن سنة 1981 بعنوان (دراسات حول مصادر التاريخ الحضرمي).
- في سنة 1961 أصدر بالإنجليزية كتاب (The Portuguese South Arabian Coast off the البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي).
- سنة 1972 نشر كتاب (South Arabian Hunt الصيد في الجنوب العربي).
- وفي سنة 1983 أصدر كتاب (صنعاء مدينة إسلامية) مع زميله رونالد ليوكوك.

قراءة في كتاب (نثر وشعر من حضرموت)

في سنة 1951 أصدر روبرت سرجانت أول كتبه عن حضرموت: (Prose and Poetry from Hadramout نثر وشعر من حضرموت). ويقع الكتاب في ثلاثمئة وسبع وخمسين صفحة موزعة على مقدمة، وسبعة فصول، وخمسة وأربعين نصا اختارها المؤلف من الأدب الشعبي الحضرمي، نثر وشعرا.

في مقدمة الكتاب يبيّن سرجانت سبب مجيئه إلى حضرموت سنة 1947 على النحو الآتي: "خلال عام 1947-1948 تمّ اختياري عضوا باحثا في شئون المستعمرات للعمل في حضرموت؛ فتوجهت بصحبة زوجتي إلى تريم عن طريق المكلا، حيث مكثنا حوالي سبعة أشهر، قمنا خلالها بزيارة عينات وقسم وقبر هود وسيئون ..إلخ. وكان الهدف من أبحاثي تلك تقديم دراسة عن مظاهر الحياة والحضارة في حضرموت من خلال اللغة التي يتحدث بها أهل تلك البلاد (العامية)، وتقديم حقائق وبيانات صحيحة وثابتة ذات صبغة موضوعية، وليست ذاتية. وتنفيذا لهذا الهدف ركزتُ على جمع قصائد من الشعر العامي، وقمت بفحص ما عثرت عليه من مخطوطات في المكتبات. كما قمت بشراء بعض النماذج والمواد ذات الطبيعة الثقافية لضمها إلى مقتنيات متحف المعمار

وعلم فصائل الأجناس) بجامعة كمبريدج. وقمت أيضا بجمع مجموعة من الوثائق المتعلقة بالقانون القبلي والتركيبة الاجتماعية للبلاد. وقد أجريت تلك الأبحاث والدراسات في مناطق الحضر والمدن أكثر من المناطق البدوية والقبلية.". ص17

ومن اللافت أن روبرت سارجانت، بعكس الكونت كارلو دي لاندبرج، قد ركز على دراسة الأدب الشعبي الحضرمي وأهمل دراسة اللهجة الحضرمية، ويفسر سرجانت تركيزه على جمع الشعر والنثر وليس على دراسة لهجة حضرموت باكتشافه أن محمد بن هاشم وعلي عقيل كانا يقومان بجمع مواد لغوية تتعلق بتلك اللهجة المحلية، وكتب في مقدمة كتابه: "كما أن المحاضر الأستاذ سيف ابن السلطان حسين القعيطي من الجماعة العثمانية بحيدر أباد يقوم بعمل مماثل وسيكون من الإسهاب والزيادة قضاء عام كامل في عمل يقوم به دارسون منافسون من أهل البلاد". ص18

ويرى سرجانت أن الشعر الشعبي هو ديوان الحضارم، ومن خلاله يستطيع الباحث أن يتعرف على الحياة الاجتماعية لهم، ويكتب "يعد الشعر في حضرموت، كما هو الحال في جميع البلدان الناطقة بالعربية، أحد الفنون الرئيسية، بل أنه الفن الأول الذي تمارسه وتتذوقه جميع الطبقات، لهذا فهو يعد مظهر من مظاهر الحياة وربما الكثر بروزا في مختلف الأنشطة والاحتفالات

الشعبية، ولذلك بات بالإمكان العثور على معلومات إضافية عن جميع مظاهر الحياة العربية تقريبا بواسطة الشعر، وبالأحرى بواسطة الشعر الشعبي السائد بين عامة الناس، إذ أن الشعر الفصيح (الكلاسيكي) يحتاج إلى كثير من الشروحات لمعرفة مناسبة قوله وأغراضه وأسلوب نظمه. لهذا فالشعر الشعبي العامي يعد للمختص في الدراسات اللغوية العربية وثيقة غنية بالملاحظات، والمعلومات عن مختلف مظاهر الحياة في جنوب الجزيرة. وقد أصبح كل همي اكتشاف العادات والحوادث والمعتقدات التي يتناولها الشعر العامي لتكون مادة لدراسة المجتمع العربي في جنوب الجزيرة العربية في الماضي والحاضر، ويمكن أن تشكل هذا المادة الموثقة مرشدا ودليلا لعالم الاجتماع الذي يبحث عن تفسير لبياناته ومعلوماته، ومساعدا فعالا للمؤرخ الذي يبحث عن تفسير للنصوص والاستنتاجات التاريخية. كما أنها ترفد الباحث اللغوي بمادة جديدة ثرية بالمفردات والقواعد ويمكن أن تساعده في دراسة الأدب العربي الفصيح وقواعده".

وفي الفصل الأول من الكتاب: (الشعر المعاصر في جنوب الجزيرة)، يبيّن روبرت سرجانت الأهمية الكبيرة التي يكتسبها الشعر في حضرموت، ويرى أنه من أبرز مظاهر الحياة، إذ أنه يُنظم ويُردّد في مختلف الأنشطة والاحتفالات الشعبية، ويشير إلى أن كل من سنوك هير قرونجي والكونت كارلو دي لاندبرج قد

سبقاه في الحديث عنه. وكرس سرجانت الجزء الأخير من هذا الفصل للحديث عن حركة التحديث الشعرية في حضرموت، مؤكدا أن عددا من الشعراء الحضارم باتوا يقعون ضمن رواد الحداثة في الشعر العربي. وكتب [في سنة 1951]: "بدأت حركة التحديث الأدبية في حضرموت قبل ما يقرب من خمسين عاما، وكان ذلك خارج حضرموت نفسها، في الهند الشرقية وجاوه وسومطره وسنقافوره ..الخ. ونشر الحضارم الكتب والصحف قبل أن يظهر شيء من ذلك في عدن وصنعاء نفسها غير الصحف العربية التركية التي تصدر عادة في كل عاصمة من عواصم الولايات التركية. وشارك الشعراء الحضرميون في الحركات الحديثة في مصر وسوريا، وذلك في إطار تطوير الأدب العربي المعاصر، حتى وهم يكتبون عن موضوعات حضرمية، وقد نشر الشاعر صالح بن علي الحامد أشعاره في مجلة (أبولو) الشعرية بالقاهرة، ويعدّ ديوانه (نسمات الربيع – القاهرة 1936)- ذا مستوى حديث في أسلوبه. أما ديوان السيد أبوبكر بن شهاب فلا شك أنه علامة مميزة لأنشطة الحضارم الشعرية والأدبية في الهند. وتبدو حضرموت اليوم مسرحا لنشاط أدبي محموم. لكن هذا النشاط لا يزال مكتوبا بخط اليد لعدم وجود مطابع في البلاد، باستثناء مطبعة بالمكلا لا تتجاوز قدرتها طباعة نشرة إخبارية رسمية صغيرة شهريا". ص35-36

وفي الفصل الثاني من الكتاب، بعد أن يقسم سرجانت الشعر الحضرمي إلى شعر حميني (أو عامي أو شعبي) وشعر حكمي ص41، يتناول -أولا- بنية القصيدة الشعبية الحضرمية، ويؤكد أن جزءا من القصائد الحضرمية يبدأ عادةً باستهلال يأتي في صيغة ابتهال أو مناجاة إلهية تتضمن ذكر الله وصفاته وتأكيدا على وحدانيته، ثم ذكر الرسول والصلاة عليه والآل والأصحاب. وتبدأ القصيدة عادةً بـ (أبدي بربي.."، أو (بديت بالله)، أو (يا الله بديت بك). ويشير سرجانت إلى أن هناك قصائد كثيرة تهمل هذا الاستهلال وتبدأ بـ" ذا فصل...)، أو (يقول..).

أما خاتمة القصيدة الشعبية الحضرمية، فيقول سرجانت إنها تبدأ في معظم الأحيان بـ(الختم....)، وتحتوي على الدعاء للرسول وآله وأصحابه، ويكتب "وجميع القصائد تقريبا تتضمن أدعية وبركات بعدد قطرات المطر وحبات رمال الشاطئ، أو بطول المسافة التي يقطعها الحمام الزائل". ص44 ويذكر سرجانت أن كثيرا من القصائد التي أوردها في الشواهد تحتوي على لازمة أو ترنيمة تبيّن خضوع القصيدة لشروط الغناء، حتى إن كانت قد نظمت لأغراض رسمية وليست للغناء. ص46

وفي الجزء الثاني من الفصل الثاني يتحدث سرجانت عن أبرز الموضوعات التي تتناولها القصيدة الشعبية الحضرمية، مؤكدا أنه قد رتب شواهده أو مختاراته وفق موضوعاتها، وحرص على أن تشمل شواهده مختلف مظاهر الحياة وأنماطها في حضرموت.

وأكد كذلك أنه كان يسعى إلى تقديم دراسة اجتماعية عن الحضارم من خلالهم نثرهم وشعرهم ولهجتهم. وكتب في مقدمة الكتاب "كان الهدف من أبحاثي تقديم دراسة عن مظاهر الحياة والحضارة في حضرموت من خلال اللغة التي يتحدث بها أهل تلك البلاد: العامية... وقد أصبح همي اكتشاف العادات والحوادث والمعتقدات التي يتناولها الشعر الشعبي لتكون مادة لدراسة المجتمع العربي في جنوب الجزيرة في الماضي والحاضر". ص31

ومن الواضح أن سرجانت قد حرص على الكشف عن الطابع الاجتماعي للقصيدة الحضرمية، وتبيّن طريقة اختياره لبعض النصوص أنه كان يسعى إلى إبراز التناقضات داخل المجتمع الحضرمي حينذاك؛ فهو يؤكد أن "نوع القصيدة يختلف اختلافا واضحا وفق نوع الطبقة التي ينتمي إليها الشاعر، وهذا شيء بالغ الأهمية في حضرموت، وغالبا ما يكتب السيّد أو الشيخ الشعر الحميني (الشعبي) المتكلف أو المشوب بطابع الثقافة، أما المزارع أو الفلاح، فيستقي الصور والأخيلة من واقع حياته اليومية. وينظم البدوي أو رجل القبيلة شعره بلهجته العربية الخاصة، التي تختلف بدورها عن لهجة السادة والمشايخ والفلاحين".

كما حرص سرجانت على أن تكون النصوص التي ضمنها مختاراته متنوعة وتغطي مختلف نواحي الحياة في حضرموت، وأكد ذلك في المقدمة، قائلا: "لقد كان الأساس الأول الذي

تصورته في ذهني هو الحصول على القصائد التي تحتوي على معلومات عن حياة الحضرمي وعقليته وسلوكه، وقد حاولت أيضا أن أجمع أكثر النصوص اختلافا في موضوعاتها قدر الإمكان. ولست أدعي الكمال في هذا الجانب، وحاولت أيضا أن تضم هذه القصائد موضوعات ذات قيمة جمالية أو فنية أو مواد ذات قيمة في دراسة اللغة والثقافة، والأهم من ذلك كله هو تقصي العادات والتقاليد في هذه الأشعار واتخاذها شاهدا لا يقبل الجدل عند الحديث عن أي مظهر من مظاهر الحياة في حضرموت، وهكذا كنت مجسداً للمثل الحضرمي: خذ لك من كل سقاية مقدح، أي خذ من كل سقاية قدحا من الماء".

ويؤكد سرجانت كذلك على الطابع السياسي لكثير من الأمثلة التي أوردها لباعطوة وعسكول، وغيرهما. وذكر سرجانت أنه أورد قصيدتين سياسيتين مشهورتين، تتناول إحداهما انتصارات آل كثير وتحتفي الثانية بانتصارات القعيطي. ومن قبيل المقارنة بين طريقة اختياره لشواهده وتلك التي اتبعها لاندبرج يقول: "كان تركيز لاندبرج على القصائد البطولية وأغاني الغزل الشائعة، بينما ركزت أنا على شعر المجتمعات المستقرة في مدن حضرموت وقراها ووادیها". ص42

وفي الفصل الثالث من الكتاب (الأغنية الحضرمية، موسيقاها ومكانتها في المجتمع الحضرمي)، يقدم سرجانت بشكل تفصيلي لأبرز أنواع الرقصات والقصائد الغنائية الشعبية في

حضرموت؛ فيذكر أغاني الجمالين (الحدا)، وأغاني الرقص في البادية، وألحان الرقص الحضرية، ويميّز بين ألحان الرقص المتزن والأصوات الشعبية الشائعة. ثم يتناول بإسهاب غناء وألحان بني مغراه، والحفلات الغنائية بالعود والكمنجة، ورقصة الشبواني والرزيح والزامل والمراجيز، وأناشيد الموالد، وألحان (ترازيح) ليالي رمضان، وأغاني السيول (التحويلة)، وتلقيح النخيل (الفخطة)، وقصائد زيارة هود (التهويدة)، وقصائد السناوة، وأناشيد الصوفية وأخدام السقاف، والنخالة (دراسة الحبوب)، وترانيم الصيادين، وأصوات الخيبعان النسائية.

وفي الفصل الرابع يقدم سرجانت نبذة مختصرة عن (التسجيلات التجارية لأغاني جنوب الجزيرة العربية)، التي كانت قد بدأت تنتشر في عدن وحضرموت قبل منتصف القرن الماضي.

وفي الفصل الخامس المكرس للنثر الحضرمي يقدم سرجانت (أدب المقامة في حضرموت). وفي الحقيقة، يتضمّن كتاب (نثر وشعر من حضرموت) خمسة وأربعين نصاً من الأدب الشعبي في حضرموت. والخمسة النصوص الأولى فقط تدخل في إطار النثر. وفي رأيي أن سارجانت محقّ عندما صنّفها كلها ضمن أدب المقامة الذي كرّس له الفصل الخامس من الجزء التقديمي النقدي من الكتاب.

ويكتسب هذا الفصل، على الرغم من إيجازه، أهمية كبيرة، إذ أنه، حسب علمي، يعدّ أول تقديم لفن المقامة في حضرموت. ولا شك أن سرجانت قد أسهم في توجيه الدارسين الحضارم للاهتمام به. ومن المعلوم أن المحقق عبد الله الحبشي قد أعاد نشر جميع المقامات الخمس التي وردت في هذا الكتاب في كتابيه: (المقامات اليمنية 1984) أو (مجموع المقامات اليمنية 1988). كما أن سرجانت أشار في تقديمه إلى (المقامات النظرية) التي ألفها أبوبكر محسن باعبود في الهند في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، والتي قدمتها في (مؤتمر اللغة العربية، كلية التربية عدن سنة 1989. (انظر كتابنا دراسات في الأدب في حضرموت قبل القرن العشرين)، والتي قام عبد الله الحبشي بتحقيقها ونشرها سنة 1999 في أبو ظبي.

وتلك المقامات الخمس هي: (مقامة الحبوب والثمار وما بينهم من النظم والأشعار) لأحمد عبد الله بركات، و(مقامة في أهل الشراحة بحضرموت) لطاهر بن حسين بن طاهر، و(الخطبة في العصيد وأحكامه) لأحمد بن محمد المحضار، و(الخطبة في الشربة) لأحمد بركات، و(مناطرة البسط والسلوة والمحاورة ما بين الشاهي والقهوة) لعبد القادر بن مبارك بن شيبان الشعيرة. وقد رأينا نضمن الثانية والأخيرة المختارات التي ألحقناها بهذا الكتاب.

من أهم السمات التي رصدها سرجانت في المقامة الحضرمية 1- أنها تكتب من قبل أفراد ينتمون لمختلف فئات المجتمع، وأغلبهم من غير المتعلمين 2- أنها تمزج بين اللهجة العامية والعربية الفصحى وتظل في مستوى المتلقي الأمي، ولن يكون باستطاعة المتلقي غير الحضرمي فهمها دون شرح 3- يأخذ جزء من تلك المقامات الخمس شكل المناظرة بين طرفين متعاركين، 4- يرى سرجانت أن المقامة الحضرمية "تستند في حبكتها وشكلها إلى عصر سابق لبديع الزمان، الذي ترك دون شك بصماته في المقامة الحضرمية إلى حد ما. 5- تتناول المقامات الحضرمية مختلف جوانب الحياة الاجتماعية وتوظف في بعض الأحيان لنقد الخصوم؛ فقد أشار المؤلف إلى أن المقامة الثانية (مقامة في أهل الشراحة بحضرموت)، "كتبها أحد السادة، وهم غالبا ما يكونون ملاكا لمساحات واسعة من أراضي النخيل، وهي تندد بالظلم والمنكر والاستبداد الذي يمارسه القبايل بدعوى حماية النخيل وحراستها: الشراحة، مقابل ضريبة تفرض على محصول التمر. والمقامة في الواقع وسيلة للتشهير والدعاية المضادة كتبت بذكاء للتأليب وكسب تأييد الأوساط المتعلمة في الساحة. فالمقامة شانها شأن الشعر وسيلة من وسائل التعبير في الشئون السياسية والاجتماعية". ص 127

وفي الفصل السادس (القصيدة الكلاسيكية والشعر العامي العربي)، يقارن سرجانت بين القصيدة الحضرمية الشعبية والشعر

العربي الكلاسيكي، ومثل جميع المستشرقين يقصد به الشعر العربي القديم. ويؤكد أن للقصيدة الحضرمية جذورا قديمة، يمكن العثور عليها في قصائد بني مغراه مثلا، ويرى أن انتشار الثقافة العربية الإسلامية لم يشكل نقطة البداية للأدب في جنوب الجزيرة العربية، ويكتب: "في جنوب الجزيرة العربية بقيت معالم الحياة والحضارة العربية القديمة كما هي باستثناء تغييرات طفيفة، وفي الحقيقة يمكن توضيحها بمقارنة المواد الثقافية المعاصرة للعاديات الحميرية في متاحفنا، فقد كان السفر إلى بيحان قبل عشر سنوات يعني الدخول إلى العصور الوسطى أو بالأحرى الدخول إلى العالم القديم، ولا تزال كنده التي أنجبت أحد العرب القدماء تعيش في المناطق الغربية من حضرموت، كما لا يزال اسم دمون الذي يشير إليه امرؤ القيس في أشعاره باقيا كاسم لبلدة في ضواحي تريم، ولا يزال الحضارم يرددون أن أمرؤ القيس كان ينتمي إلى هذا المكان". ص133

أما الفصل الأخير فقد كرسه سرجانت لتقديم تراجم موجزة جداً لمؤلفي النصوص التي ضمّنها مختاراته، مرتبة وفق أرقام النصوص، وتبدأ القائمة بأحمد عبد الله بركات، صاحب المقامات رقم 1، 3، 4 والقصيدة 24، وتنتهي ببوعامر الذي ينسب إلية النص رقم 26. وضمن تلك القائمة يحظى كل من سعد بن علي بن عبد الله بامدحج التريمي المعروق بسعد السويني، والشيخ عبد الله بن حسين بافضل التريمي الملقب (رحيّم)،

بمكانة خاصة. وقد كتب سرجانت في تقديمه لرحيّم، الذي قابله في تريم سنة 1947، ويُعدُّ المرجع الأول لكتابه ما يأتي: "كان هذا الشخص مصدري الرئيسي في تريم، وهو ذو طاقة عظيمة في الاطلاع على جميع ما يتعلق بمجريات الحياة في حضرموت، ويبدو أنه وقت لقائي به لم يتجاوز أواخر الثلاثينيات من عمره وهو من سكان حارة (السوق) في حوطة الشيخ حسين، ولا أستطيع مقاومة الرغبة في رسم صورة لشخصية هذا الرجل بشيء من التفصيل باعتباره شخصية حضرمية صميمة ونموذجية. وينتمي رحيّم إلى مشايخ آل بافضل بتريم، وهي إحدى العائلات العريقة التي يتصل نسبها بأحد أصحاب الرسول، وقد أنجبت هذه الأسرة كثيراً من العلماء والكتاب، ولا يزال هناك العديد من مشاهير شيوخ العلم في تريم ممن ينتمون إلى هذه الأسرة وهي عائلة تحتفظ بعلاقة الود الدائم مع السادة. ورغم أن رحيّم رجل فقير، إلا أنه مواظب على التزيّن بلباس العلماء حتى ولو كان مرقعاً، وهو يعيش على الكفاف ويملك عدداً ضئيلاً من النخيل، وضاع كل ماله في التجارة التي لم يصادف فيها حظاً، وقد زار وادي دوعن مرة وبئر برهوت عدة مرات. وخلال مجاعة 1944 كان يعيش على الرمق، وقد استخدمته الحكومة مدة قصيرة. وكان رحيّم يحصل على ما يقرب من أربعة ريالات شهرياً من أسرة آل الكاف وانخفض هذا المبلغ حتى أصبح روبية واحدة تبعاً لانخفاض ثروة آل الكاف، ويبدو أن هذا المبلغ كان يدفع

له تقديراً لنشاطه الأدبي وهو نشاط يستحوذ على كل وقته ويستغرق كل حديثه، وهو يجمع كل ما يصادفه ويسمعه من أدب بدون تمييز، ويعمل الآن ملقناً في القبور، ويتركني في أوقات معينة للذهاب إلى المسجد ليؤذن للصلاة، وهذا من أعماله، ويشير إلى نفسه بالفقير، وهو لقب له علاقة بالتقاليد الإسلامية، وقد كان يلبس ثوبه الأبيض العادي وأخبرني أن هذا الثوب يلبسه للعيد فقط بحيث خلق لدي انطباعا بأنه لبس هذا الثوب بمناسبة قدومي ومرافقته لي، ولعل أفضل ما يتميز به رحيّم هو ما يُعبّر عنه بكلمة (خرّاط) أي ثرثار، وهي صفة نفعتني في مهمتي فهو إذا شرع في موضوع يتحدث عنه دون توقف متشعباً فيه شعابًا شتى، وهو أيضًا لا يفتقر إلى النكتة في حديثه فقد تمنى مرة أن يحصل على دواء يحد من حديثه وثرثرته وعندها يكون كل شيء على ما يرام ثم يعقب بقوله: (صدق والله). وفي مرة من المرات شرح لي المثل القائل (سكوت تسلم فيه خير من كلام تندم عليه). وفي شرحه لهذا المثل لم ينس أن يدور في حديثه هنا وهناك فيتحدث عن أشياء كالتمر مثلاً، وقد توقع أن يقدم لي السادة هدية من التمور لاقتراب الموسم وأشار عليّ بأن أحضر بعضاً منها ليفصل لي أسماءها ويشرح فوائدها، وهو طبعاً يستطيع أن يحصل على تلك التمور إذا طلبها لي، وطلب مرة مني أعداداً قديمة من جريدة (التايمز) ليبيعها في السوق مقابل الحصول على كمية من (البلاشان) يستعملها إداماً لخبزه، وكانت الكمية

لا تتجاوز ملء قارورة الحبر -كم هم فقراء هؤلاء الحضارمة، ومن النادر أن يطلب الحضرمي شيئاً بطريقة مباشرة كطلب الحصول على قلم رصاص ليقوم بأداء خدماته للأدب والتاريخ وهو طلب كان موعوداً بالحصول عليه، ولكنه لم يتسلمه وهو يستطيع تحقيق رغباته بالمناظرات الكلامية فيورد أنواعاً من الأمثلة لكلمة معينة هي المقصودة للتعبير عما يريده، وأكثر الذين يأتون إليه لاكتساب المعلومات هم في الواقع لصوص ففي سرائرهم أنهم يريدون الحصول على ما جمعه من مواد استغرق في جمعها 26 عاماً بدون مقابل خدمة لوطنه، إنهم مخادعون ودنيئة أنفسهم أولئك الذين لا يهبونه شيئاً مقابل خدماته، ولكنه لا يدع دفاتره تفلت من بين يديه لأي شخص ما عداي، وهو ينكر معرفته الكثير من العربية الفصحى، إلا أنه يبدي معرفته بأشياء منها عندما يكون بين العلماء، إما معرفته باللهجة العامية فشيء مثير للدهشة، والمدى الذي وصل إليه بعيد المرمى، وكثيراً ما يحدثني بكلام مسجوع، أو مستعملاً عبارات وجملاً صيغت بها الأمثال وهو كثير الاعتقاد في (الحسد) كغيره من الحضارمة، حتى المتعلمين منهم، الذين يعتقدون أيضًا في العين الشريرة، وهو يخشاها من كل قلبه، ويعتقد أن شخصًا ما كان يحمل عليه حسداً مما سبب له ارتعاشاً في يده عندما يشرع في الكتابة والتدوين، ويعوقه ذلك في الكتابة بالشكل المطلوب، ولا أنسى قصر نظره الذي أعاقه عن الكتابة على ورقة كانت أمام

عينيه والناس يضحكون عليه أيضا ويعتبرونه (مجذوباً). إن رحيّم روح تقية ورعة، وصاحب قلب طيّب رغم ظروف حياته البائسة وقد وكل أمره لإرادة الله في كل لحظة يشكو فيها إليه واثقاً من جزاء الله وجنته، ومن الغريب أنه يؤمن بأننا نحن النصارى معرضون للعنة والطرد من رحمة الله، ولكنه مع ذلك يتحمل وجودنا، وقد وفى بكل أمانة بالاتفاق الذي تمّ بيني وبينه". ص147-149

قراءة في كتاب (دراسات حول مصادر التاريخ الحضرمي)

في مطلع سنة 1981، نشرت جامعة عدن أول إصدارٍ لها، وهو عبارة عن ترجمة قام بها الدكتور سعيد عبد الخير النوبان، رئيس الجامعة حينذاك، لكتاب (دراسات حول مصادر التاريخ الحضرمي)، الذي تولت طباعته جامعة الكويت، والذي يتضمّن خمس دراسات نشرها المستعرب البريطاني روبرت بوب سارجانت، بين سنة 1951 وسنة 1974.

وإذا كان سرجانت قد ذكر في مقدمة كتابه (نثر وشعر من حضرموت، سنة 1951)، أن المهمة الرئيسة والرسمية لابتعاثه إلى حضرموت تكمن في دراسة لهجة حضرموت، فهو خلال إقامته الأولى في حضرموت في شتاء 1947-1948، وزيارته الثانية لحضرموت سنة 1952 قد حرص على شراء عدد كبير من المخطوطات، وقام بنسخ تلك التي لم يستطع شراءها، وفي بعض الحالات اكتفي بتسجيل عناوينها.

وقد ضمّن سرجانت الدراسة الأولى من كتاب (دراسات حول مصادر التاريخ الحضرمي)، (مادة تاريخية عن جنوب الجزيرة الجزيرة)، التي نشرها في (مجلة الدراسات الشرقية الإفريقية)، بعد زيارته الأولى لحضرموت مباشرة، تقديما مفصلا لبعض مخطوطات كتب

التاريخ الحضرمي، وكتب في بدايتها: "إن هدفي الأساسي من فحص المخطوطات يرتبط بأمل أن أكتشف مصادر تاريخية، وهو أحد الاعتبارات المهمة جدا لدراسة حضرموت". ص9

وأشار سرجانت في هذه الدراسة إلى مخطوطة لكتاب (بضائع التابوت) للمؤرخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، الذي لم ينشر وأصبح الأصل لكتاب (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت). وذكر أن كتب التاريخ الخاصة بحضرموت في القرون الأولى من الهجرة النبوية، معدومة، وقليلة تلك الكتب التي يمكن تصنيفها ضمن كتب التاريخ قبل القرن العشرين، ويقول "تركز نشاط السادة على حفظ الأنساب. وهذا نشاط اهتموا به بعد أن طُعِن في صحة انحدارهم من ابنة النبي، وكان ذلك حين وطأت أقدامهم حضرموت حيث استقروا، ولذلك تجد انتشار كتب شجرة الأنساب للعائلات الكبيرة من العلويين. وقد اطلعت في عينات من كتاب أنساب لعائلة السقاف التي ينتمي إليها المنصب. فمن الزاوية التاريخية نجد أن السادة قد فضلوا كتابة أعمال الورع والتراجم لأجدادهم على تسجيل تاريخ البلاد. وينطبق هذا أيضا على عائلات المشايخ. وليس هناك أي اعتبار آنذاك في حضرموت وغيرها من بلاد جنوب الجزيرة العربية عامة". ص9-10

ويرى سرجانت أن الوضع قد تغيّر قليلا عند زيارته الأولى لحضرموت، ففي تلك الفترة "يوجد ما يقارب اثنا عشر مؤرخا حضرميا، وعدد لا بأس به من الأفراد الذين يجمعون قصاصات

تاريخية، وأكثر هؤلاء أهمية هو علوي بن طاهر الحداد، مفتي جهور ومؤلف عدد من الأعمال القانونية، وقيل إنه يعد للطبع تاريخا لحضرموت بعنوان (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها)، وهو تاريخ نقدي على أسس حديثة". ص10 كما يضمن سرجانت دراسته تلك فهرس كتاب (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها) لعلوي بن عبد الله الحداد، وكذلك قائمة ببعض المكتبات في المكلا ووادي حضرموت، ثم قائمة ببعض المخطوطات التاريخية. ويصنفها ضمن مخطوطات في الرحلات والزراعة والدواوين الشعرية والفلك والقانون والعادات". ويقدم بعضها بإيجاز، مثل (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) لأبي الطيب محمد بن عبد الله با مخرمة السيباني، و(تاريخ شنبل) للسيد أحمد بن عبد الله بن السقاف المعروف بشنبل. ويذكر أنه اشترى المخطوطة من قاضي حريضة السيد علي بن سالم العطاس، ويرى أنه أحد مصادر كتاب بافقيه الشحري. ويذكر أن نسخة منه في مودعة في المكتبة السلطانية بالمكلا، ونسخة في مكتبة باصرة حاكم الشحر.

ومن اللافت أن سرجانت قد ركّز في تلك الدراسة على جمع ما كتبه المؤرخون الحضارم عن الوجود الغربي البرتغالي في سواحل حضرموت، وذلك بهدف تعريف المستعمر البريطاني بردود فعل الحضارم تجاه الحركات الاستعمارية السابقة في حضرموت. ففي سياق تقديمه لمخطوطات كتاب تاريخ بافقيه الشحري، ذكر أن "النسخة المودعة في المكتبة السلطانية في المكلا حديثة

ومحرفة في عدة مواقع، وهناك أخطاء كثيرة ولم تنقط الحروف، وقد نسخت منها المادة التي حول البرتغاليين من المخطوطتين وأنوي نشرهما مع ترجمة". وينبغي الإشارة هنا إلى أن جزءا كبيرا مما جاء في هذه الدراسة الأولى قد ضمّنه سرجانت كتابه (البرتغاليون قبالة سواحل جنوب الجزيرة العربية) الذي نشره أول مرة سنة 1961. (انظر قراءتنا لكتاب البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي في هذا الكتاب).

أما الدراسة الثانية (مادة تاريخية عن جنوب الجزيرة العربية، مجموعة تراجم2)، فقد نشرها سرجانت سنة 1956 في (مجلة الدراسات الشرقية الإفريقية)، وتتضمن تقديما لعدد من المخطوطات المرتبطة بالعادات والتقاليد والشعر، وكذلك تراجما موجزة لعدد من السادة العلويين الذي كتبوا نصوصا شبه تاريخية، وأكد أنه قد أخذ تلك التراجم من مجلة (الرابطة العلوية) التي كانت تصدر في جاكرتا بإندونيسيا.

والدراسة الثالثة بعنوان (المؤرخون وكتابة التاريخ في حضرموت) نشرها سرجانت في المجلة نفسها مجلة سنة 1962، واستهلها بتقديم جغرافي وتاريخي عام لحضرموت. ثم تطرق لمصادر تاريخ حضرموت ما قبل الإسلام في النقوش، وفي العصر الإسلامي، وفي القرن التاسع عشر. ويقدم بإيجاز لكتب شنبل وحميد، ومحمد بن هاشم وصلاح البكري. وكتب "يذكر البكري أن (تاريخ ابن حميد) تقف مع الكثيري، وتنم عن

كراهية عميقة ليافع التي قال عنها اتهامات غير ثابتة. لقد عرف السيد محمد بن هاشم الشيخ ابن حميد وذهب لزيارته وهو شيخ عجوز". ص86

ويكرس سرجانت صفحتين من هذه الدراسة الثالثة بشي من التفصيل (الخلاف العلوي- الإرشادي والتاريخ الحضرمي)، ويركز على تقديم وجهات نظر صلاح البكري وشاعر الدولة القعيطية: عبد الله بن أحمد الناخبي. ويقدم كذلك وجهة نظر عبد الله باوزير. ثم يقدم مرة أخرى بعض (المؤرخين من السادة)، مثل عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، ومحمد بن هاشم وصالح بن علي الحامد وعبد الاله بن حسن بلفقيه.

أما الدراسة الرابعة فهي في الأصل محاضرة ألقاها سرجانت عند تدشين برنامج مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن سنة 1956. وكرسها لتقديم (سادة حضرموت)، وأكد أنهم قد أكرموه خلال زيارته لحضرموت وتعاونوا معه كثيرا، وتحدث فيها عن النزاع بين العلويين والمشائخ (وتحديدا آل الخطيب وآل بأفضل)، حول السيادة في حضرموت، وعن علاقة (الحوطة) بالسادة. ثم يتناول سرجانت المواقف السياسية والدينية للسادة العلويين في حضرموت، وبداية تصوفهم وكسرهم للسيف وتبنيهم للطريقة العلوية وابتعادهم عن الناس والأسواق، وذلك على النحو الآتي ص 114: "حين نتابع الجانب السياسي لتعاظم نفوذ السادة خصوصا فيما يتعلق بالشريعة والتصوف، نذكر ما كتبه الأهدل:

إن أول من تصوف من السادة هو محمد بن علي المعروف بالفقيه المقدم، في أوائل القرن الثالث عشر – السابع الهجري- وفي تلك الفترة عرف آل باعلوي بالفقه والشريعة والشرف. ويبدو أن العلماء الحضارم قد رفضوا الحركة الصوفية في بداية الأمر، إذ حين سمع بذلك معلمه أبو مروان بن أحمد بن سالم الذي قرأ عنه الفقه، انفصل عنه. ويقال إن الفقيه المقدم طلب من السادة أن يضعوا السلاح جانبا ويتفرغوا للمهام الدينية والأخلاقية. وبدأت منذ ذلك التاريخ الطريقة العلوية في التصوف التي كان هو قطبها حتى اليوم. ويؤكد السادة أنها أفضل الطرق وتستند إلى القرآن والسنة ومعتقدات السلف الصالح. ولا يجوز لأي علوي أن يحيد عن طريقة السلف الصالح. وعليه أن يسلك طريق التواضع الورع والقدوة الحسنة من نبيه محمد، ويعتقد الصوفي العلوي في الغموض ويكره الوضوح. ويتجنب التجمعات الغوغائية. وعليه أن ينتبه لمغبات إهمال الواجبات الدينية، ويجب على العلوي أن يكون رؤوفا بزوجته وأطفاله وجيرانه وأقربائه وكل المسلمين". وذكر سرجانت أن أحدا من عائلة الحداد لم يدخل السوق لقناعتهم بأنه مكان تجمع الأشرار. ويتحدث كذلك في تلك الدراسة عن مبدأ الكفاءة في الزواج الذي يلتزم به سادة حضرموت، وانتشار السادة خارج حضرموت. ص116

ويتناول سرجانت في الدراسة الأخيرة، التي شارك بها في ندوة (التاريخ البحري) التي نظِمت في بروكسل، سنة 1974، تاريخ

(ميناء عدن وميناء الشحر في العصر الوسيط). وقد بدأها على النحو الآتي: "كانت عدن والشحر وظفار الموانئ الثلاثة الرئيسة على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية. ويوجد بجانبها عدد آخر غير قليل من الموانئ التي عرفها البحارة. وتعتبر ظفار أقل الموانئ الثلاثة شهرةً، وقد رُبطت بل ووقعت أحيانا تحت سيطرة مدينة الشحر". ص130

ثمّ يقارن المؤلف بين الشحر وعدن، قائلا: "تخدم الشحر حيزا صغيرا من المناطق الداخلية، على الرغم من أنها تقع، في أوقات كثافة التجارة العالمية على خطوط وطرق القوافل الداخلية، وهو أمر نادر؛ ففي أيام قريش تأتي القوافل إلى جنوب الجزيرة العربية في رحلة الشتاء، وتذهب إلى شمال الجزيرة العربية في رحلة الصيف، وتضطر للتوقف في ميناء الشحر للحصول على منتجات الشرق الأقصى. أما عدن، فمن المؤكد أنها تعتبر المنتهى الجنوبي لكل طرق القوافل من الجنوب والشمال، وتخدم عدد أكبر من المناطق الداخلية من الشحر". ص130

ويؤكد سرجانت أن الشحر كانت في العصر الوسيط، المركز السياسي لحضرموت، ومن يحكمها يسيطر على كل حضرموت. ويضيف: "وكانت الشحر تابعة للكثيرين ثم تحولت إلى القعيطي سنة 1867. وينعت من يحكم المينائين بقابض الحنجور لأنه يستطيع أن يخنق التجارة أو أي نشاط آخر مع الخارج".

وبعد أن قدّم سرجانت وصفا لموقع ميناء عدن في مدينة كريتر المحصنة، وبعض تقاليد التجارة فيه، شرع في وصف ميناء الشحر، وكتب "الشحر مدينة مسوّرة، وتقع على شريط ساحلي رملي، وتنقسم إلى قسمين: مجرى السيول الذي يسمى المسيال. ومن جهة الغرب يقع اليوم حي المجرف، ويعني الشباك الكبير، والمعروف بـ (الجريف). ومن جهة الشرق يقع حي الرملة الذي تجفف فيه الأسماك. وهناك أحياء أخرى، أقدمها حي القرية الذي ربما يشكل الموقع الأول للشحر. وفي الزمن القديم كان في هذا الحي سوق يعرف بسوق الخان، وهو غير معروف اليوم، ومن الأسواق الأخرى: سوق اللحم وسوق الهنود وسوق شبام". ص139

وفي نهاية الدراسة يتناول سرجانت تقهقر ميناء الشحر أمام صعود مينا المكلا، قائلا: "هبطت قيمة ميناء الشحر في القرن التاسع عشر حين ظهرت المكلا كمنافس على الساحل الحضرمي، وبعد أن أضيف إليها بعض البلدات ذات الأحجام المختلفة من حولها. والوضع اليوم في المكلا، بسكانها من الصومال والهنود التجار يشبه وضع الشحر قبل انحدارها. ويمكن القول إن سكان الشحر اليوم عرب خلص. وقد اعتاد الحضارم أن يهاجروا إلى شرق إفريقيا من ميناء الشحر؛ لذلك يدعونهم في تلك البلدان: الشحيري أو الشحاري". ص140.

ويذكر سرجانت في دراسته بعض البضائع التي تصدر عبر ميناء عدن، منها بعض الأحجار الكريمة والمعادن والزجاج الذي يصنع

بالقرب من عدن وفي تهامة. ويؤكد أن ميناء الشحر اشتهر بتصدير البخور واللبان والأسماك منذ القدم. ويختتم المؤلف دراسته على النحو الآتي: "إن انطباعاتي هي أن جنوب الجزيرة العربية مكتفي ذاتيا من الناحية الاقتصادية، وأن صادراته الأساسية حتى يومنا هذا هي في واقع الأمر اليد العاملة". ص141

قراءة في كتاب (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي)

تمهيد

تكتسب أحداث القرن العاشر الهجري أهمية بالغة بالنسبة للغربيين والشرقيين، فهي تساعد على معرفة طبيعة الصراع بين الشرق والغرب والأسباب التي دفعت الدول الغربية للاستيلاء على الموانئ العربية، ومنها ميناء الشحر، أولا ثم على جميع الأقطار العربية التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية.

ويقدم سرجانت في كتابه (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي) نموذجا لما قدمه المؤرخون الحضارم عن تاريخ الحملة البرتغالية في مختلف السواحل المطلة على المحيط الهندي خلال ثمانين عاما من القرن السادس عشر (904هـ/1498م إلى سنة 984هـ/1577م) وهي من أكثر فترات تاريخ العالم دراماتية، إذ احتدم فيها الصراع بين الغرب بقيادة البرتغاليين الذين اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح، وسعوا إلى عرقلة الخط التجاري القديم إلى الهند والصين، وبين الدولة العثمانية ومماليك مصر وتجار البندقية. وكانت موانئ الجنوب العربي، ومنها ميناء الشحر، مسرحا مهما لذلك الصراع الطويل.

وعند قراءتنا لمحتويات كتاب (البرتغاليون قبالة الساحل الجنوب العربي)، والكتب والدراسات الأخرى التي كرسها سرجانت لتاريخ الجنوب العربي وأدبه، تتجلى لنا بعض دوافع الغربيين للكتابة حول البلاد العربية بشكل عام، وتحديدا معرفة رؤية السكان المحليين لمحاولات سيطرة الغربيين على البلاد العربية، وبشكل خاص الموانئ، وذلك منذ مطلع القرن السادس عشر. ولا شك في أن القادة السياسيين والعسكريين، البريطانيين والغربيين بشكل عام، كانوا يحرصون، منذ مطلع القرن التاسع عشر، ليس فقط على معرفة طريقة تفكير السكان المحليين وخلفياتهم الدينية والاجتماعية والثقافية واللغوية، لكن كذلك على التمعّن في الاستراتيجيات التي اتبعها أولئك السكان في محاربتهم ومقاومتهم.

وفي نهاية ثلاثينيات القرن العشرين وبُعَيْد الحرب العالمية الثانية كان البريطانيون تحديدا يودون معرفة ردود فعل الحضارم تجاه محاولات البرتغاليين للاستيلاء على ميناء الشحر. وذلك بهدف الاستفادة منها لتجنب ما قد يبدر منهم من معارضة إخضاع بلادهم مباشرة للتاج البريطاني؛ ولهذا كلفوا سرجانت بالذهاب إلى حضرموت لدراسة أدبهم وتاريخهم ولهجتهم. فسرجانت، عند تقديمه لكتاب محمد بن عمر الطيب بافقيه (تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر)، في أول دراسة نشرها بعد زيارته لحضرموت سنة 1947(مادة تاريخية حول جنوب الجزير العربية، ملاحظات عن

مخطوطات جديدة في حضرموت)، كتب: "يعد كتاب (تاريخ بافقيه الشحري)، مهما كمصدر لتلك الفترة التاريخية؛ ففي الوقت الذي يناقش الكتاب الأحداث من وجهة النظر الحضرمية، فهو يتضمن كذلك الكثير من الملاحظات الممتعة حول تاريخ الجزيرة العربية عموما، وهناك إشارات إلى الأحداث المعاصرة خارج الجزيرة العربية. والمؤلف مطلع على نشاطات الأتراك والبرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي والهند. إن قيمة الكتاب تكمن في عرضه لوجهة النظر العربية لروايات البرتغاليين وعلاقتهم بأمور العرب على الساحل العربي الجنوبي. وإضافة إلى ذلك فإن الأحداث المروية تلقي ضوءا جديدا على التاريخ الداخلي للبلاد". (حول مصادر التاريخ الحضرمي، ص 22)

وفي الحقيقة، بعكس ما يوحي به العنوان، يتضمن كتاب (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي)، الذي لم يترجم إلى اللغة العربية حتى اليوم، عددا متنوعا من الفصول التي يرتبط معظمها بسواحل المحيط الهندي، لكن المؤلف ضمّن الجزء الأخير من الكتاب فصلا خاصا بقرصنة البرتغاليين في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر. (انظر فهرس الكتاب ضمن الترجمات التي ضمناها في هذا الكتاب). وحتى في الفصل الذي ترجم سرجانت فيه مقتطفات من كتب المؤرخين الحضارم فهو لم يحصر اختياره في ترجمة النصوص المرتبطة بجنوب الجزيرة فقط، بل ضمّن الفصل ترجمة لما كتبه المؤرخون الحضارم حول محاولات

البرتغاليين الاستيلاء على السواحل المطلة على المحيط الهندي في الجنوب العربي وشرق إفريقيا وغرب الهند في الفترة التي احتك فيها البرتغاليون بالسكان المحليين والجنود الأتراك (الروم) ومماليك مصر.

في الفصل الأول من هذه القراءة قمنا بتقديم النصوص الحضرمية التي اختار سرجانت منها مقتطفاته. وفي الجزء الثاني درسنا الملاحظات المهمة التي وضعها سرجانت في هوامش ترجمته لتلك النصوص، والتي كانت السبب الأول لنجاح الكتاب بين القراء الغربيين. وبما أنه لا توجد حتى اليوم ترجمة عربية لكتاب سرجانت (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي)، فقد ألحقنا بهذا الكتاب، إضافة إلى ترجمة الفهرس، ترجمة للجزء الأول من مقدمته، وترجمة للجزء المتضمن تقديما لمدينة الشحر في فترة الوجود البرتغالي، وكذلك ترجمة للجزء الخاص بموقف آل كثير من البرتغاليين والأتراك، وتقديمٍ موجز جدا لليهود والهنود في جنوب الجزيرة العربية.

أولا- تقديم نصوص المؤرخين الحضارم التي ضمنها سرجانت كتابه ومصادرها:

ضمّن سرجانت كتابه الفصل الثاني والأهم من كتابه (نصوص كتاب الحوليات الحضارم حول الأنشطة البرتغالية من سنة 904هـ/1498م إلى سنة 984هـ/1577م)، ترجمةً إنجليزية لمقتطفات مختلفة الطول استلها من ثلاث مخطوطات حضرمية، هي: مخطوطة كتاب بافقيه (تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر)، ومخطوطة كتاب شنبل (تاريخ حضرموت)، إضافة إلى (مخطوطة سيئون المجهولة).

وتتعلق تلك المستلات بما رصده مؤلفو المخطوطات، بأنفسهم أو نقلا عن مؤرخين آخرين، من أحداث تتناول الوجود البرتغالي والعثماني والمملوكي في سواحل المحيط الهندي بشكل عام وميناء الشحر بشكل خاص، وذلك من سنة 904هـ/1498م إلى سنة 984هـ/1577م).

وكرس سرجانت نحو صفحتين من كتابه لتقديم تلك المخطوطات التي كان قد قدّمها بإسهاب في الدراسات التي نشرها في المجلات البريطانية وترجمها د. سعيد النوبان في كتاب (دراسات حول مصادر التاريخ الحضرمي، 1981).

أ- تقديم تاريخ بافقيه الشحري:

في بداية تقديم النصوص، ذكر سرجانت أنه استل النصوص المرتبطة بالحملة البرتغالية بشكل أساسي من تاريخ بافقيه الشحري، وذكر أنه مؤلف سبق أن قدمه في دراسته (مادة تاريخية عن جنوب الجزيرة العربية)، التي ترجمها الدكتور سعيد النوبان في كتاب (دراسات حول مصادر التاريخ الحضرمي)، بعنوان (مادة تاريخية عن جنوب الجزيرة العربية)، والتي كان قد نشرها في (مجلة الدراسات الشرقية الإفريقية)، بعد زيارة سرجانت الأولى لحضرموت، وضمنها تقديما مفصلا لبعض مخطوطات كتب التاريخ الحضرمي، وكتب في بدايتها: "إن هدفي الأساسي من فحص المخطوطات يرتبط بأمل أن أكتشف مصادر تاريخية، وهو أحد الاعتبارات المهمة جدا لدراسة حضرموت". ص9

وقد تحدث سرجانت بشكل مفصل عن نسخ تاريخ بافقيه التي عاد إليها، وكتب: "لفتت نسخة مخطوطة من الكتاب في مكتبة السلطان الراحل صالح القعيطي في المكلا انتباهي لأول مرة في سنة 1947، وقمت بنسخ بعض المقاطع المتعلقة بالموضوع منها. وقارنتها بنسخة ثانية استعرتها من باصرة، حاكم الشحر آنذاك. ومع ذلك لم يصبح النص مرضيًا تمامًا، وظلت هناك العديد من النقاط المستعصية على التفسير، والتي لم أتمكن من حلها. وخلال زيارتي إلى تريم سنة 1953، وضع السيد عبد الله بافقيه

بسخاء نسخة أقدم من كتاب تاريخ بافقيه الشحري تحت تصرفي. وقد ساعدتني تلك النسخة كثيرا. وبعد ذلك اطلعت في حريضة على نسخة مختلفة وكاملة من الكتاب، وبفضل وساطة السيد العطاس تمكنت من شرائها. وبعد فحصها تبيّن لي أنها لا تقل دقة من المخطوطات الأخرى، وربما تكون الأفضل. وقد سمّيت النسخ الأربع من تاريخ بافقيه الشحري: نسخة المكلا، ونسخة باصرة، ونسخة تريم، ونسخة حريضة. ولم أضمن كتابي هذا النص العربي للاستلالات المترجمة هنا، إذ إن تاريخ بافقيه يستحق النشر كاملا، واكتفيت بنشر ترجمة انتقائية من جميع النسخ الأربع".

وذكر سرجانت في دراسته المذكورة أعلاه أن "النسخة المودعة في المكتبة السلطانية في المكلا حديثة ومحرفة في عدة مواقع، وهناك أخطاء كثيرة ولم تنقط الحروف، وقد نسخت منها المادة التي حول البرتغاليين من المخطوطتين وأنوي نشرهما مع ترجمة".

ويتحدث سرجانت كذلك في تلك الدراسة عن الأسلوب الذي اتبعه بافقيه الشحري في تدوين كتابه، قائلا: "اتبع المؤرخ أسلوب الحوليات [سرد الأحداث]، ويكتب السنين بالحبر الأحمر في كلتا النسختين. أما الأسلوب اللغوي، فأقرب إلى العامية وليس خاليا من الأخطاء النحوية، وتحتوي على بعض الكلمات الجنوبية

العربية. وعموما فهو يشبه في أسلوبه العمل المعروف بـ(تاريخ ثغر عدن). ويروي الكتاب بعض الأحداث شعرا. ومن بين المصادر التي استخدمها المؤلف كتب ابن الديبع والسخاوي وأبي مخرمة، وباسنجلة الذي لم يتبق من كتابه إلا الاقتباسات التي ضمنها بافقيه الشحري في كتابه. ويبدأ الكتاب بأحداث عام 901 للهجرة الموافق لعام 1495 للميلاد". ص22

وذكر سرجانت أنه لم يعثر على نبذة عن سيرة المؤلف بافقيه. وأكد الباحث المحقق عبد الله الحبشي في المقدمة التي وضعها للكتاب حينما نشره سنة 1994 ص10، أن ليس هناك مصدرا تناول سيرة بافقيه الشحري، "وكل ما نعرفه عنه أن اسمه الطيب محمد بن عمر بافقيه. وأسرة بافقيه فرع من أسرة آل عيديد المعروفة بحضرموت. وقد ذكر هو عن نفسه أنه ولد سنة 970 هـ. وذكر أيضا أنه حج سنة 989، فيكون ذلك وهو ابن 19 سنة. وأغلب الظن أنه عاش إلى ما بعد الأربعين من القرن الحادي عشر". ص10

ويتحدث سرجانت بإسهاب أيضا عن المراجع التي استخدمها بافقيه في كتابه -وفي كثير من الحالات بطريقة التنصيص-، وكتب " وبما أن تاريخ بافقيه يغطي القرن العاشر الهجري، أي 901-1000 هـ (م. 1495-1592)، وبما أنه لم يكن معاصرا لمعظم الأحداث التي سردها، فإنه يعتمد على بامخرمة وباسنجلة. وحتى سنة 1954

كنت أعتقد أن تاريخ باسنجلة قد ضاع بشكل يتعذر استرجاعه، لكن شاهدت في سيئون بعض أجزائه التي تمكنت من تحديدها؛ لكن هذه قصة أخرى مرتبطة بالأحرى بحوليات شنبل. وهذه البقايا الآن بأمان في يد السيد صالح بن علي الحامد. وكنت قد افترضت أن بامخرمة هو مؤلف قلادة النحر، لكن السيد ل. شومان ذكر أن تاريخه ينتهي بحلول عام 927 هـ (1521 م)، في حين أن الحوليات التي أوردها تستمر حتى عام 948 هـ (م. 1541)، أي بعد عام من وفاة مؤلف كتاب (قلادة النحر)، والمؤلف الذي استفاد بافقيه من كتاباته هو في الواقع عبد الله بن عمر الطيب، الذي كان شحريا، وربما شيخا. يقول عبد الله السقاف أن تاريخه مرتب في شكل حوليات. ويذكر أيضًا أن سيرته الذاتية موجودة في (السناء الباهر)، لكن المرجع الوحيد الذي وجدته هناك موجود في حوليات 975 هـ (م. 1567-158) حيث وُصف بأنه فقيه وأديب. وذكره عبد الله باسنجله الشحري في قصيدة نقلها بامخرمة، الابن الشقيق لعبد الله بامخرمة صاحب (قلادة النحر) و(تاريخ ثغر عدن). وقد أنجبت الأسرة عددًا من العلماء المشهورين في التراث الإسلامي. ويقتبس لوفغرين مقطعًا من (السناء الباهر) يقول فيه عبد الله أنه في فترة وفاة عمه كان غائبا في مكة. ويتوافق هذا تمامًا مع اقتباس بافقيه لعام 947 هـ (م 1540-1)، حيث يشير باخرمة إلى أنه كان في جدة. وهو الذي ذكره بالفعل باسنجله في تاريخ الشحر و(من النور السافر)، وقد اقتبس بافقيه

منه مرة واحدة فقط، لكن هذا يكفي للإشارة إلى أن حولياته قد تم تجميعها بعد سنة 1012هـ (م 1603م) عندما تم الانتهاء من العمل السابق، ولكن ربما ليس بعد ذلك التاريخ مباشرة. ربما كان المقصود من تأريخه كتابة تصنيفا مماثلا (للنور السافر)، إذ أنه يحتوي على تاريخ البلاد كما رأينا بالنسبة للشحر. وبعد أن توقف من الاقتباسات من بامخرمة، لم يطلع بافقيه جيداً على الأحداث خارج حضرموت". (ص 77). ويرى سرجانت أن مصدره الثاني (تاريخ شنبل) يعدّ أحد مصادر كتاب بافقيه الشحري.

ويؤكد عبد الله الحبشي كذلك على أن أهم مصدرين اعتمدهما بافقيه في تاريخه هما: (تاريخ القرن العاشر) للمؤرخ عبد الله بن أحمد باسنجلة، و"يعتبر من الكتب المفقودة"، ومسودة كتاب (مذكرات تاريخية) للفقيه المؤرخ عبد الله بن عمر بامخرمة التي أراد بها التذييل على تاريخ عمه الطيب عبد الله بامخرمة (قلادة النحر في وقائع الدهر، 927هـ). ويرى الحبشي أن كتاب بافقيه "في عمومه مكوّنٌ من الثلاثة الكتب المشار إليها، وهي تاريخ باسنجلة ومسودات بامخرمة والنور السافر". ص9

ب-تقديم (تاريخ شنبل)

ويعد (تاريخ شنبل)، للسيد أحمد بن عبد الله السقاف المعروف بشنبل، الكتاب الأساسي الثاني الذي استل منه سرجانت نصوصه حول الحملة البرتغالية، وذكر أنه سبق أن قدمه في دراسته

المذكورة أعلاه، وأنه أخذ الاستلالات من مخطوطة شنبل الوحيدة التي تمكن من الاطلاع عليها. وذكر في دراسته المذكورة أعلاه عن (تاريخ شنبل) أنه اشترى المخطوطة من قاضي حريضة السيد علي بن سالم العطاس. ويذكر أن نسخة منه في مودعة في المكتبة السلطانية بالمكلا، ونسخة في مكتبة باصرة حاكم الشحر، و"نسخة بحوزة المرحوم السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف من سيئون (وهو نفسه مؤلف تاريخ غير منشور عن حضرموت). هذه المخطوطة الأخيرة ليست قديمة جداً، لكنها بلا شك تعتمد على مخطوطات أقدم بكثير. وبما أن شنبل توفي عام 920 هـ (1514 م)، ويبدو على أي حال أنه كان من تريم البعيدة عن الساحل، فإن حولياته مختصرة وغير مدروسة تماماً، لكنه معاصر لأحداث القرن العاشر التي كتب عنها". وذكر سرجانت أن شنبل لم يتناول في تاريخه إلا العشرين سنة الأولى من القرن العاشر بما أنه توفي سنة 920هـ (1514م).

وعندما تحدث سرجانت عن المؤرخ شنبل في دراسته (المؤرخون وكتابة تاريخ حضرموت (حول مصادر التريخ الحضرمي ص80)، ذكر أنه اعتمد في تاريخه على (مخطوطة باحسن) التي اعتمدت بدورها على ابن خالكان فيما يتعلق بالمادة القديمة المسرودة من خارج جنوب الجزيرة العربية. ص80 وذكر أن مخطوطة تاريخ باحسن سلمها آل العطاس للرحالة البريطانية فريا ستارك التي أخذتها معها، وذكر سرجانت أنه اطلع عليها في بريطانيا، وقال

"كانت مخطوطة باحسن غير مرتبة لكنها في مستوى أدبي أعلى من عمل شنبل". ص83

وأشاد عبد الله الحبشي بكتاب شنبل في المقدمة التي وضعها للكتاب سنة 1994، قائلاً: "هذا تاريخ العلامة أحمد بن عبد الله شنبل العلوي جامع لتاريخ حضرموت من بداية القرن السادس حتى أوائل القرن العاشر. وقد اعتورته الأيدي وتلاعب به النساخ حتى جاء مسخا من الكلمات المتقطعة الركيكة ومع ذلك فهو يحتل بشخصيته المتميزة مركزا مهما في كتب التاريخ الحضرمي، وكان مصدرا رئيسا ومنطلقا لكل المحدثين الذين عانوا كتابة التاريخ في حضرموت". ص3

ويرى سرجانت أن شنبل قد اعتمد على كتب مفقودة لباشراحيل وابن حسان، ويؤيده عبد الله الحبشي، الذي يؤكد أن شنبل قد اعتمد كثيرا على تاريخ مفقود لابن حسان.

وبالنسبة لمخطوطة سيئون المجهولة لم يتحدث سرجانت عنها كثيرا، واكتفي بكتابة ما يأتي: "هي مخطوطة تخص المرحوم السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف من سيئون، وهو نفسه مؤلف تاريخ غير منشور عن حضرموت، والذي لا يبدو أنني قد حددته...". وفي الحقيقة لم يقتطف سرجانت منها إلا في حالات قليلة أهمها ما ورد فيها حول أحداث سنة 929هـ.

ويذكر سرجانت أنه، عند إعداده لترجمته نصوص المؤرخين الحضارم، استعان ببعض المصادر العربية المطبوعة وبعض الترجمات، وكذلك بعدد من المخطوطات الأخرى، وبشكل رئيس بكتاب (النور السافر) لعبد القادر العيدروس الذي قال عنه: "إنه غير متصل بالأحداث الكبرى على الساحل بشكل مخيب للآمال، حيث كان المؤلف أكثر اهتماماً بالوادي حضرموت على الرغم من أنه ولد في أحمد آباد وبالتالي عرف العالم خارج شبه الجزيرة العربية". واطلع سرجانت كذلك على صفحات من مخطوطة تاريخ باسنجلة و(السناء الباهر) للشلي.

وتحدث سرجانت في تقديمه عن الأسلوب الذي استخدمه المؤرخون الحضارم، ويرى أنهم "يكتبون بأسلوب عربي ليس ببعيد عن لغة الكلام، مليئاً بالتراكيب العبارات والمفردات العامية. ونصوصهم ليست خالية من الأخطاء النحوية وفقاً للمفاهيم الكلاسيكية الصارمة. ويمكن وصف هذا الأسلوب على أنه أسلوب غالبية المؤلفين العرب الجنوبيين من العصور الوسطى في العصور الوسطى. ومن جهته، أكد الباحث عبد الله الحبشي في مقدمته لكتاب تاريخ بافقيه أن الكتاب تخللته عبارات ركيكة وألفاظ دارجة خاصة بأهل القرن العاشر، وأكثرها من عبارات أهل مدينة الشحر، وبعض مصطلحات البحارة. ص12

ثانيا- ملاحظات سرجانت حول نصوص الحضارم:

أ-ملاحظات للمقارنة بين ما كتبه المؤرخون الحضارم وما أورده المؤرخون البرتغاليون والغربيون الآخرون:

في كثير من الملاحظات الهامشية يقارن سرجانت بين ما ورد في الحوليات الحضرمية وكتب التاريخ البرتغالية والغربية الأخرى المرتبطة بحملاتهم في سواحل المحيط الهندي، وفي معظم الأحيان بغرض تخطئة ما أورده المؤرخون الحضارم وتأكيد ما كتبه الغربيون. مثلا في الملاحظة الهامشية رقم 3 للصفحة 41 يورد سرجانت ما ذكره المؤرخ البريطاني S. A. Strong في كتابه (History of Kilwa) ليؤكد أن فاسكو ديجاما لم يذهب سنة 904هـ 1498م إلى كلوه في ساحل إفريقيا الشرقي كما جاء في كتاب (تاريخ شنبل)، ويؤكد أن البرتغاليين لم يتوقفوا في كلوه إلا سنة 1505، والميدا هو من بنى فيها حصنا في تلك السنة.

وفي الهامش 3 من صفحة 42 يُكذّب سرجانت ما ورد في كتاب (تاريخ بافقيه الشحري) بشأن تلك الأحداث، ويؤكد أن كلوه لم تكن المكان الأول الذي ظهر فيه البرتغاليون في سواحل شرق إفريقيا، ويقول إن فاسكو ديجاما تجاوز في المرة الأولى كلوة وذهب مباشرة إلى موزامبيك، وأن البرتغالي الغاريز كابرال هو من

زار كلوه أولا سنة 1500، والميدا هو من بنى حصنا فيها سنة 1505م.

وعند ترجمته لما كتبه بافقيه بشأن أحداث سنة 906هـ 1500م المرتبطة بأول ظهور للبرتغاليين (الفرنجة) في سواحل الهند والسواحل العربية، يضع سرجانت هامشا (5 من صفحة 42)، يُغلِط فيه بافقيه الشحري الذي قال إن البرتغاليين قد وصلوا إلى كلكتا، ويؤكد سرجانت أنهم لم يضعوا أقدامهم أبدا في كلكتا، ولم يصلوا إلا إلى بلدة كبات التي تقع في شمال كلكتا. (وهذا نص بافقيه الشحري كما ورد في طبعة عبد الله الحبشي: قال المؤرخ: أول ما ظهر الأفرنج بجزيرة كلوة بكسر الكاف وسكون اللام وفتح الواو وسكون الهاء جزيرة كبيرة من أرض السواحل على سبيل التجارة، ثم رجعوا إلى أرضهم وأتوا مرة ثانية بهدايا ومساطير غريبة وكلام منتظم إلى صاحب كلوة، ثم خرج منها إلى الساحل، ثم إلى بلاد الهند. وأول ظهوره بأرض الهند بقالي قوط ومنيبار وجوه على رأس التسعمئة. وهو أول القرن العاشر. وكذلك أول ظهوره بجهة بر العرب خذله الله تعالى أنه توّه بحصن الغراب قريبا من الشحر أو سنة ثمان أو تسع في القرن العاشر). ص 46

وفي الهامش 7 من الصفحة نفسها (42)، يذكر سرجانت أن أول ظهور للبرتغاليين في السواحل العربية كان سنة 1503م أي نهاية

سنة 908هـ. وكان ذلك بقيادة فيسانس سودرس الذي رافق فاسكو ديجاما في رحلته الثانية للهند.

وفي الهامش 3 للصفحة 43 يُضيف سرجانت تفاصيل على ما جاء في تاريخ شنبل حول (أحداث سنة 912هـ 1506) واستيلاء البرتغاليين على جزيرة سقطرى وقتل ولدي الطوعري مع خمسين من المسلمين، ويحدد أن الذي استولى على الجزيرة هما البوكرك وتريستو ديكوشا، وذلك في شهر أبريل من سنة 1507م.

وفي صفحة 44 في الملاحظة 8، يذكر سرجانت أن المؤرخين البرتغاليين باروس وكاتنهايدا يؤكدان أن البرتغاليين لم يهاجموا ديو في تلك السنة بعكس ما ذكره شنبل في حوليات سنة 914هـ . (في طبعة الحبشي صفحة 235)

وفي الهامش 1 من صفحة 45، ترجم سرجانت تفاصيل هجوم البرتغاليين على كلكتا وفق ما جاء في تاريخ شنبل ويقارنه مع أورده المؤرخون البرتغاليون الذين يؤكدون مقتل 32 برتغالي في تلك الأحداث وجرح 300 منهم. ويذكرون أن 4000 من المماليك قتلوا ولم يفر منه إلا 22 نفرا، ويكتب شنبل أن الأمير حسين فقد نحو ستمئة رجلا فقط. (الحبشي ص 235)

وفي الهامش 2 من الصفحة نفسها 45 يذكر سرجانت أن المؤرخين البرتغاليين لا يذكرون شيئا عن استلام الغزاة البرتغاليين لمبالغ مالية من حاكم كلكتا كما ذكر شنبل، لكنهم يؤكدون أن

مالك إياس سلم 17 سجينا برتغاليا ومد الأسطول البرتغالي بالمؤن. وقالوا إن القائد حسين نفسه لجأ إلى ملك قوجرات لأنه خاف أن يسلمه مالك إياس للقائد البرتغالي المايدا.

وفي الهامش الثاني من صفحة 54 يورد سرجانت ما كتبه المؤرخ البرتغالي باروس بشأن ما ورد في حوليات سنة 934هـ في تاريخ بافقيه حول وصول البرتغاليين للمشقاص ونيتهم التوجه للشحر.

وفي الهامش التالي يكذب سرجانت ما أورده بافقيه بشأن عدد السفن التي غرقت بالطوفان (العاصفة) ويقول إن واحدة فقط غرقت بينما كتب بافقيه أن نحو 14 مركبا غرقت وهرب منها عدد كبير من السجناء المسلمين.

ب- *ملاحظات سرجانت حول الاختلافات بين نسخ المخطوطات الحضرمية:*

من المعلوم أن معظم المخطوطات الحضرمية قد تعرضت للتحريف والتغيير لأسباب مختلفة، ويرى المحقق عبد الله الحبشي "أن الخطاطين وغيرهم قد تدخلوا في المخطوطات". ومن الواضح أن عددا كبيرا من الملاحظات التي وضعها سرجانت في هوامش صفحات كتابه تهدف إلى لفت الانتباه إلى الاختلافات الموجودة بين نسخ المخطوطات الحضرمية التي استلّ منها مقتطفاته.

مثلا، يتضمن الهامش 2 في صفحة 43 ملاحظة حول عدد السفن العربية التي اختطفها البرتغاليون في سواحل البحر العربي؛ ففي حين تذكر نسخة المكلا من كتاب بافقيه الشحري أنها سبع لا تحدد نسخ تريم وباصرة وحريضة العدد.

وفي الملاحظة السادسة في الصفحة نفسها بشأن وضع بافقيه وصول حسين بيك الكردي، أمير صاحب مصر، إلى الشحر في طريقه إلى الهند ضمن أحداث سنة 913هـ 1507م، يكتب سرجانت أن نسخة حريضة فقط هي التي يبرز فيها هذا الوضع بشكله الصحيح، بينما تضعه مخطوطة المكلا ومخطوطة تريم بشكل خاطئ ضمن أحداث 915هـ 1509م. وفي طبعة الحبشي يبرز ضمن أحداث 913.

وبخصوص أحداث سنة 929هـ واختلاف مؤرخي القرن العاشر بشأن أسماء الشهداء يحيلنا سرجانت في الهامش رقم 6 من صفحة 52 لكتاب محمد بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية ص41.

وفي الهامش الثاني من صفحة 53 يذكر سرجانت أن نسخة المكلا من تاريخ بافقيه تعطي الاسم الأول للأمير عطيف الذي جاء من الريدة ليعيد النظام في الشحر بعد انسحاب البرتغاليين منها، ويذكر أن نسخة تريم فقط تذكر أن اسمه عطيف بن علي بن دحدح.

ج- ملاحظات مكرسة للإحالة إلى خارج الكتاب:

وكرس سرجانت بعض الهوامش للإحالات؛ فهو، في الهامش الأول للصفحة 54 مثلا، يحيل القارئ إلى دراسته (مادة لتاريخ الجنوب العربي) المنشورة في حولية مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن 1950، التي يقدم فيها معلومات ضافية عن عائلة آل العمودي ومكانتهم في قيدون.

وبخصوص أحداث سنة 929هـ واختلاف مؤرخي القرن العاشر بشأن أسماء الشهداء، يحيلنا سرجانت في الهامش رقم 6 من صفحة 52 إلى كتاب محمد بن هاشم (تاريخ الدولة الكثيرية ص41).

وهناك قليل من الملاحظات الهامشية التي يكرسها لشرح بعض أسماء العلم؛ مثلا في صفحة 43 الهامش الأول مكرس لتقديم حصن الغراب جغرافيا وتاريخيا، ويقول إنه يقع غربي المكلا ويسمى اليوم بير علي ويعده المؤرخون ميناء قنا القديم. ويتضمن الهامش 3 في الصفحة 53 تعريفا جغرافيا لبلدة الريدة التي أتى منها الأمير عطيف بن دحدح.

وفي الهامش الأول للصفحة 55 يعبّر سرجانت عن دهشته لإطلاق بافقيه (نقلا عن باسنجلة) كلمة (الروم) على البرتغاليين، إذا أن المؤرخين الحضارم يستخدمونها على للأتراك. وتجدر الإشارة كذلك إلى أن سرجانت ضمّن نص ترجمته بعض الملاحظات الداخلية (وليس في الهامش)، التي يمهد فيها للمستلة التالية.

مثلا في صفحة 55، قبل أن يقدم حوليات بافقيه لسنتي 936 و937 يشير سرجانت إلى أن بافقيه اعتمد كثيرا في سرد أحداث الحملة العثمانية على جنوب الجزيرة العربية على ما كتبه باسنجلة وعبد الله بامخرمة وبشكل حرفي.

الخاتمة

من خلال تقديمنا لطبيعة النصوص التاريخية الحضرمية التي اختار سرجانت أن يقدمها للقارئ الغربي في كتابه (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي) يتبيّن لنا أن الحفاظ على تراثنا ونشره لم يكونا هما اللذين دفعا الغربيين إلى بذل جهودٍ كبيرة لنقل أكبر قدر ممكن من مخطوطاتنا إلى مكتباتهم وأرشيفهم، بل كان هدفهم يكمن في معرفة مرتكزات ما يمكن أن نسميه السياسة الخارجية لحكام الجنوب العربي في القرن العاشر، تلك السياسة التي كانت تتأرجح بين الولاء للعثمانيين والطاهريين والبرتغاليين، وذلك للاستفادة منها لإحكام قبضتهم على بلادنا في القرنين التاسع عشر والعشرين.

ومن خلال قراءتنا للملاحظات التي وضعها سرجانت على ما ورد في نصوص المؤرخين الحضارم حول الوجود البرتغالي في السواحل المطلة على المحيط الهندي في القرن العاشر، يتبيّن لنا أن أحد أهداف قراءة الغربيين لنصوصنا التاريخية يكمن في تكذيب

كل ما يمكن أن يتعارض مع ما تمّ ترسيخه في كتبهم التاريخية بغض النظر عن مستوى صحته.

وفي الختام، نؤكد أن كتاب الأستاذ روبرت سرجانت حول الوجود البرتغالي في سواحل الجنوب العربي وكذلك دراساته حول مصادر التاريخ الحضرمي والأدب الشعبي في حضرموت قد أسهمت كثيرا في توجيه الاهتمام بالمخطوطات الحضرمية المرتبطة بالتاريخ والأدب ودراستها وتحقيقها، فمنذ سبعينيات القرن الماضي قام محمد عبد القادر بامطرف وعبد القادر الصبان وجعفر السقاف وعبد الله الحبشي بنشر دراسات تدخل في إطار الدراسات التي بدأها سرجانت. وقام عبد الله الحبشي بتحقيق تاريخ شنبل وتاريخ بافقيه الشحري، وقام كذلك بدراسة بنشر المقامات الحضرمية التي تعد أهم مكونات النصوص التي جمعها سرجانت.

قراءة في كتاب (الصيد في الجنوب العربي)

كرس روبيرت سرجانت الفصل الثالث من كتابه (نثر وشعر من حضرموت) لدراسة الأغنية الحضرمية، موسيقاها وأنواعها. وأكد أنه، لكتابة هذا الفصل، اعتمد كثيرا على محاضرة كان الصحفي المؤرخ محمد بن هاشم قد ألقاها في أحد أندية مدينة تريم. وقام المؤلف بمراجعة المادة مع علي عقيل بن يحيى. ص72 وقد ضمّن سرجانت هذا الفصل جزءاً خاصا بـ(غناء وألحان بني مغراه)، أورد فيه ما كتبه محمد بن هاشم الذي يقول إن "هذا النوع من الغناء يعتبر من بين أقدم الأغاني في حضرموت. والغرض الأساسي من قصائد بني مغراه هو إثارة حماس القنّاصة ورجال الطرد والمطاردة، وأكثرها قصائد تقال وتغني في الوعل، والافتخار باصطياده. و(المغراه) هي الكلاب التي تدرَّب للصيد وتمارسه، وأبناؤها (بني) هم القنّاصة، أما أخواتها فهي القصائد المغناة في المسامرات المسائية بألحان وأصوات يغنيها الرجال منفصلين عن النساء. وأشعار بني مغراه تتناول مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية كالغزل والصيد والسياسة وغير ذلك". ص81

وذكر سرجانت أن من أهم خصائص قصائد بني مغراه التي لم يشر لها ابن هاشم: إنها جميعا تأتي من بحر واحر واحد. وقد ضمّن

سرجانت مختاراته عددا من قصائد بني مغراه المتنوعة؛ منها ما يرتبط فعلا بقنيص الوعل، لكن معظمها تبتعد عنه تماما. (انظر القصائد الملحقة بهذا الكتاب)

وفي سنة 1976، أي بعد مرور خمس وعشرين سنة من صدور كتاب (نثر وشعر من حضرموت، 1951)، نشر روبرت سرجانت كتابا مكرسا لـ(الصيد في الجنوب العربي South Arabian Hunt)، درس فيه طقوس قنيص الوعل في جنوب الجزيرة العربية، وبشكل خاص في بلدة عينات شرقي مدينة تريم، وبلدة مدودة شمالي مدينة سيئون، وفي منطقة الواحدي. وفي مقدمة الكتاب ذكر أنه قد اعتمد في هذا الكتاب على ما سرده له أحد المشايخ في بلدة مدودة. وضمّن سرجانت كتابه، الذي يقع في 153 صفحة، كثيرا من التفاصيل المهمة حول قنيص الوعل في حضرموت، ويذكر أن هناك ثلاثة أنواع من طرق قنيص الوعل في وادي حضرموت؛ في الأولى منها يتم الإمساك بالوعل الذي يُعثر عليه بالصدفة في إحدى الطرق أو أحد الجبال، وفي الثانية يتم البحث عن الوعل والتربص له في الجبال والأودية والإمساك به بعد إطلاق النار عليه باستخدام البنادق فقط. أما في الطريقة الثالثة فتستخدم الشِباك والبنادق للقبض على الوعل.

ويذكر سرجانت أن أهالي بلدة عينات يستخدمون الكلاب لصيد الوعل. ويؤكد أن البلدة تشتهر بتربية سلالة جيّدة من الكلاب [السَّلَق]، التي يتم الاعتناء بها، وتغذى بالخبز والتمر واللحم، ويتم

غسلها جيدا لتبقى نظيفة. وفي موسم تكاثر الوعول في الجبال المحيطة بعينات يأخذ الصياد الكلاب، وعندما يشاهد القطيع يطلقها قائلا لها: "استكبر، أي اختر الكبير، فتجري الكلاب وهي تهز ذيولها، وتهاجم الطريدة، وتمسك تسيطر بها من خصيتيها، إلى أن يصل الصياد". ص32

بعد ذلك، يشرع سرجانت في تقديم الرجال الذين يشاركون في عملية القنيص، ويوزعهم في أربع مجموعات: 1- المطاردون أو الموجهون الذين يتولون مهمة البحث عن الوعل ويوجهونه باتجاه الوادي 2- حملة البنادق الذين يختبئون ببنادقهم خلف الصخور أو الأشجار، 3- حملة الشباك الذين يتولون كذلك مهمة نصبها 4- حملة الهراوات والسكاكين الذين يكمنون خلف الشِباك بسكاكينهم. ويذكر سرجانت أن الشِباك تصنع في عينات من صوف الأغنام بارتفاع قامة الإنسان ويبلغ طولها ثمانية عشر أو عشرين ذراعا، وتربط بسعف النخيل الذي يُثيّت في الأرض بأحبال. وعادةً تستخدم ثلاث أو أربع شِباك في الصيد في اليوم الواحد. وعندما يقع الوعل في الشبكة، توجه له بضع طعنات بالسكاكين قبل ان يُذبَح.

أما رجال القنيص من أهالي مدودة، الذين يمارسون القنيص في الجبال المطلة على بلدتهم، فيستخدمون خطافات حديدية لتثبيت الشِباك في شقوق الصخور الجبلية، بينما يتفرّق حملة البنادق والمطاردون في ممرات مختلفة عن تلك التي يسلكها

حملة الشِباك. ويكمن حملة البنادق في قمم الجبال مختبئين خلف أكوام من الحجارة. وتبدأ عملية القنيص الفعلية حينما يوجه المطاردون أو الموجهون، الذين يبلغ عددهم عادة خمسة عشر، بمسح المنطقة ويوجهون الوعول باتجاه حملة البنادق في الأعلى أو ناحية الشباك المنصوبة في الأسفل. ويطلق حملة البنادق النار على الوعل الذي يقترب منهم، ويوجه المطاردون الوعل الذي لم تصبه طلقات البنادق باتجاه الشِباك. ويذكر سرجانت أن أهالي بلدة مدودة يجسّدون عملية القنيص تلك في مسرحية يطلقون عليها: تمثيلية صيد الوعل. ويرى سرجانت أن بعض طقوس صيد الوعل الجماعي تتضمن صبغة دينية تعود إلى ما قبل الإسلام. ويؤكد كذلك أن صيد الوعل في حضرموت يمارسه الحضر من غير القبائل والسادة.

وتجدر الإشارة إلى أن الضابط البريطاني هارولد انجرامز قد اهتم هو الآخر بتقديم طقوس صيد الوعل في حضرموت، ونشر دراستين عن قنيص الوعل في حضرموت الأولى سنة 1937. والأخرى سنة 1973. وفي سنة قام الباحث الروسي رديونوف بنشر دارسة عن تلك الطقوس وربطها هو الآخر ببقايا للطقوس الدينية القديمة. وفي سنة 2004 نشر الباحث عبد الرحمن جعفر بن عقيل كتابا مهما بعنوان (قنيص الوعل في حضرموت)، ذكر في مقدمته أنه قد استفاد من كل من سرجانت ورديونوف. وركّز في الجزء الأول منه على علاقة الوعل بالمظاهر الدينية والحضارية القديمة في

حضرموت. وضمّن الجزء الثاني كثيرا من المعلومات عن الرقصات التي كانت ولا تزال تصاحب قنيص (زف) الوعل، وكذلك كثيرا من الأغاني والأراجيز التي تتناول القنيص، لاسيما أغاني بني مغراه.

الترجمات

(1)

فهرس كتاب (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي)

المقدمة

(أ) البحر الأحمر والمحيط الهندي قبل البرتغاليين: مسح سياسي اقتصادي

أولا. أراضي البحر الأحمر 4

ثانيا. ساحل شرق إفريقيا (السواحل) 9

ثالثا. هرمز والخليج العربي 11

رابعا. غرب الهند

(ب) البرتغاليون في المحيط الهندي: عرض تفصيلي لأحداث القرن العاشر / السادس عشر ذات الصلة بالحوليات الحضرمية

-الجنوب الغربي للجزيرة العربية، الخلفية التاريخية والاقتصادية:

أولا. الساحل والبحر والناس 22

ثانيا. الشحر في الفترة البرتغالية 25

ثالثا. سياسة آل كثير تجاه البرتغاليين والأتراك 27

رابعا. التجار اليهود والهنود والأفارقة في جنوب الجزيرة العربية 32

خامسا. بعض آثار الحصار البرتغالي على التجارة 35

سادسا. المصادر والمخطوطات 37

سابعا. الأسلوب

- نصوص كتاب الحوليات الحضارم حول الأنشطة البرتغالية من سنة 904هـ/1498م إلى سنة 904هـ/1577م.

- القراصنة الهولنديون قبالة ميناء المخا في القرن السابع عشر

أولا. مدخل عام 112

ثانيا. المصادر والمخطوطات

نصوص لمحمد الجرموزي وكتاب أوروبيين

الملاحق

أولا. مدفع تركي من عدن 130

ثانيا. المفردات العربية الخاصة بالسفن والملاحة 132

ثالثا. النقود والعملات في القرن العاشر / السادس عشر وما يليه في جنوب الجزيرة العربية 138

رابعا. بدر بوطويرق والمهرة في الأسطورة والتاريخ 155

خامسا. سقطرى 157

سادسا. التحصينات المملوكية في جدة 160

سابعا. نقوش برتغالية من قلعة ميرانى بمسقط

مسرد الكلمات الأجنبية 185

مسرد الأسماء

(2)

مقدمة كتاب سرجانت (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي)

لقد سُردت قصة المغامرات البرتغالية في مياه الشرق مرات عدة، ومع ذلك لم يكتب المؤلفون العرب سوى القليل عن حملة البرتغاليين ضد الدول العربية. قد يكون سبب ذلك انشغال العرب أكثر بالغزو العثماني لأوطانهم، فهو امتد لفترة أطول، وتبيّن لهم في النهاية أنه أكثر كارثية من القرن العابر من الهيمنة البرتغالية في المحيط الهندي.

وفي حين تمت ترجمة نصوص بعض المؤرخين اليمنيين الذين أرخوا لحروب الأتراك والبرتغاليين إلى اللغات الأوروبية، فقد ظلت العديد من فترات التغير السياسي، ومن جوانب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، غامضة. فبالنسبة للموانئ والقبائل والدول الصغيرة في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية التي عانت على حد سواء من البرتغاليين والأتراك، ومن ردود فعل السكان، لم يظهر سوى القليل من النصوص، إذا ما استثنينا ما يتعلق بعدن، التي يبدو أنها نفسها قد تأثرت كثيرا بالابتزازات التركية، إلى جانب انخفاض نشاطها التجاري إلى درجة أن ميناء المخا حل مكانها، ولم تسترد عدن مكانتها البارزة إلا بعد أن استولى البريطانيون عليها في سنة 1839.

وقبل أن نتمكن من وضع تاريخ جيّد وذي قيمة لجنوب شبه الجزيرة العربية الذي سيكون له قيمة دائمة، علينا العودة للمصادر العربية، التي لم ينشر منها إلا القليل. ويمكن أن يساعد اكتشافي لمخطوطات وحوليات لم تكن معروفة سابقا أثناء عمليات البحث الميدانية في حضرموت على سد بعض الفراغات الخاصة بالغزو البرتغالي. لذلك تم تحرير هذا الكتاب ليكون مصدرا ومادة خامة وليس تاريخًا متكاملا، وذلك من خلال اختيار النصوص التي تتضمن إشارات للوجود البرتغالي قبالة سواحل جنوب الجزيرة العربية، واستخراجها من الحوليات العربية المخطوطة، إضافة إلى مواد أخرى تم الحصول عليها من مصادر المخطوطات أو الكتب المطبوعة بغرض التأكد مما دونه المؤرخون الحضارم وتقديم بيانات أساسية جديدة عن الاقتصاد والتاريخ الاجتماعي والتقاليد البحرية في جنوب شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة.

وبينما كرّس السيد و. شومان أبحاثه لفحص المصادر العربية الخاصة باليمن، يسعى هذا الكتاب للتركيز أكثر على ما يخص حضرموت. ومع ذلك من المؤكد أن أبحاث شومان وأبحاثنا تكمّل بعضها البعض. فجميعها ستشكل دون شك جزءا صغيرا من المسح الذي يقوم به فؤاد سعيد من دار الكتب في القاهرة، بهدف تجميع قائمة بجميع الأعمال المعروفة عن تاريخ تلك البلاد. وبالتالي

فأن وضع الأسس اللازمة والكاملة لهيكل تاريخي سيستغرق عدة سنوات.

تشكل حملة البرتغاليين في المحيط الهندي، في إحدى دلالاتها، تتويجا منطقيا وانتصارا للتوجه المسيحي المعادي للمسلمين، الذي برز بعد إعادة استعمار شبه الجزيرة الإيبيرية [أسبانيا] والحروب الصليبية. فبعد أن قامت الأساطيل البرتغالية بتطهير المحيط الهندي من البحر الأحمر مؤقتًا، توقف التقدم التركي بشكل خطير فوق البندقية والمجر، ويبدو أن التوجه الإسلامي ضد العالم المسيحي قد وجد فجوة جديدة في درع أوروبا. ومن المسلم به أن الهدف الرئيسي للطموحات البرتغالية كان الاستيلاء على السيادة الاقتصادية واحتكار التجارة الشرقية. كما أن هناك دائمًا وعيا عاطفيا يغذي تلك الحرب المقدسة، يقابله في الجانب الإسلامي مشاعر الجهاد ضد الغوغاء والكفر. ومع ذلك، فإن العالم المسيحي نفسه لم يتحد في دعم البرتغاليين، لأن تجار البندقية، كانوا أصدقاء وحلفاء للمصريين، وحاولوا استخدام حيلهم وقوتهم وضع حد للتجارة المباشرة مع المحيط الهندي عبر رأس الرجاء الصالح. وقد طلب السلطان المملوكي في مصر، بتحريض من البندقية، ومن البابا والدون مانويل، أن يأمروا جميع المسيحيين بالكف عن الملاحة أو التجارة في بحر العرب، مهددًا بقتل مسيحيي مصر وتدمير القبر المقدس. وبينما فشلت مكائد البندقية تمكن المسلمون، وهم في حالة يأس، من تحقيق وحدة

معينة في الهدف والتعاون في مقاومة البرتغاليين، إلا أن عدوهم الذي لا يرحم استغل تنافسهم وشكوكهم المتبادلة.

وفي هذا الصراع كان البرتغاليون، من جانبهم، يعانون من ندرة القوة البشرية والموارد ورأس المال. كما أن بُعْد المسافة عن قواعدهم الأصلية واتساع المنطقة التي عملوا فيها جعلت الرقابة الإدارية صعبة، وكان انضباطهم سيئًا لدرجة أنه كان سببا لكثير من الكوارث. ومن نقاط ضعفهم في حروبهم في الهند اعتمادهم على المرتدين المسيحيين. وقد لجأ العرب في شمال إفريقيا هم أيضا إلى توظيف عدد من المسيحيين المرتدين.

إضافة إلى ذلك، كانت السفن البرتغالية، المصممة للرحلات الطويلة ومقاومة العواصف، أكثر صلاحية للإبحار من المراكب الآسيوية الذي تم بناؤها فقط للإبحار مع الرياح الموسمية وغير قادرة على تحمل المدفع البرتغالي. كما أن خبرات البحارة المصريين والأتراك كانت محدودة، وكانت مراكبهم تناسب الملاحة في البحر الأبيض المتوسط أكثر من مناسبتها للملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي. لذا كانت الخسائر البرتغالية طفيفة، لأن سفنهم كانت متفوقة على سفن خصومهم. لكن أسلحتهم، على الرغم من أنها أفضل من تلك التي واجهوها لأول مرة في الهند، لم تكن متفوقة على أسلحة الأتراك.

وتسبب المرض في خسائر فادحة في صفوف البرتغاليين. وبشكل عام، كانت معنوياتهم أعلى من معنويات أعدائهم، وهو العامل الذي غالبًا ما يحافظ على صمودهم حتى عندما يبدو موقفهم ميؤوسا، وكان لقادتهم اعتزاز عنصري هائل معزز بحماس التعصب ضد الإسلام. وعندما كانت هذه السياسة أحيانا مناسبة، وأحيانًا غير مناسبة، وفي كل الأحوال قاسية.

قبل وصول البرتغاليين، كانت التجارة في الهند والشرق الأقصى تحت سيطرة المسلمين. وكانوا في الغالب من العرب المسلمين، من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وسلطنة عمان، كما شارك فيها الهنود والفرس واليهود، وتجار من أعراق أو ديانات أخرى. وكان الطريق البحري الذي يمر به الجزء الأكبر من حركة التجارة يمتد من الهند إلى هرمز وعبر الخليج العربي، ثم برا إلى حلب، أو عبر خليج عدن وجدة إلى القاهرة والبندقية. وكانت السيطرة على هذا المسار الرئيس، أي تجارة المدن الساحلية في شرق إفريقيا، تقع أيضا في أيدي العرب في الغالب. وكان الانتظام في هذه التجارة مشروطًا بأنواع الرياح الموسمية، كما كانت الحال لقرون عدة قبل الإسلام.

وقد اشترى تجار البندقية توابل من بلاد الشام وبيروت والإسكندرية لتوزيعها على أوروبا وموانئ شمال إفريقيا. وتعود معظم الأرباح الهائلة للتجارة إلى تجار المحيط الهندي والبحر الأحمر، وسلاطين مصر المملوكي، وبطبيعة الحال، تجار

البندقية. وأتاح الحجم الكبير لحركة المرور وسيلة سهلة لتحصيل الإيرادات لتلك البلدان التي لديها موانئ، التي يتم فيها الشحن بحكم الضرورة، وكذلك الأراضي التي يتعيّن على القوافل عبورها. وبالتالي فقد وفرت التجارة مصدر رزق للعديد من الأشخاص الذين ربما وجدوا صعوبة في الوجود لولا ذلك المصدر، وبينهم التجار والبحارة الذين يرتادون البحار ومجتمعات المرافئ الواقعة على السواحل الطويلة، والعرب الذين يعتمدون على تأجير جمال القوافل. ونظرًا لعدم وجود طرق أخرى سوى تلك التي تعبر البحر الأحمر أو الخليج الفارسي أو الأراضي الفارسية نفسها، يمكن الاستدلال على أن الحكام لم يكن لديهم خوف من المنافسة ويمكنهم فرض رسوم جمركية باهظة وفق مزاجهم.

وبعد انتهاء الحروب الصليبية، قدم بعض الأوروبيين، الذين أدركوا اعتماد الدول الإسلامية في الشرق الأوسط على تجارة الهند، بعض المقترحات من أجل تدميرها. فاقترح مارينو سانوتو في أوائل القرن الرابع عشر تحالفًا مع التتار والنوبيين، من أجل الحفاظ على أساطيلهم في المحيط الهندي وغزو جزره وسواحله. وبينما كان غيوم آدم يرى أن ثلاثة أو أربعة سفن حربية يجب أن تشيد في هرمز لمنع الحركة بين البحر الأحمر وجزيرة سقطرى، وكان آخرون يعتقدون أن السكان المسيحيين والقراصنة سيساعدونهم بسهولة. لذلك لم يكن التوغل البرتغالي في المحيط الهندي مشروعا خلقته الصدفة، بل كان نتيجة إعداد طويل

وخطط ناضجة بعناية. ففي سنة 1487 تم إرسال بيدرو دا كوفيلهام للاستكشاف في بلدان التوابل، والبحث عن أرض (بريستر جون) بالطرق البرية. وقد سافر من القاهرة إلى الهند وزار كانريانور، وكاليكوت، وجوا، وقام برحلة عبر زيلع، في أسفل ساحل شرق إفريقيا ثم إلى سوفالة، ثم قام برحلة ثانية من القاهرة إلى الخليج العربي. ولامس عدن عدة مرات، وكذلك زار هرمز وجدة. وفي سنة 1490 وصل إلى قصر ملك الحبشة الذي استقبله بحفاوة على الرغم من أنه احتجزه في الحبشة لبقية حياته، لكنه تمكن من إرسال تقرير كاملاً عن تجارة المحيط الهندي إلى سيده في القاهرة. وفي سنة 1497، بعد سبع سنوات من ذلك التاريخ، نجح فاسكو ديجاما في الوصول لرأس الرجاء الصالح بثلاث أو أربع سفن. وقد عانى من تأخيرات طويلة في البرتغال، أثناء وضع الخطط التفصيلية لرحلته وتم تجهيز الشحن له. خلال العام التالي زار، واحدة تلو الأخرى، المستوطنات العربية الرئيسة، من موزمبيق إلى ماليندي. ومن ثم عبر البحر المفتوح إلى كلكتا، وعاد إلى لشبونة بالطريق نفسه في عام 1499. ومع ذلك، قبل المضي قدما في حكاية المغامرين البرتغاليين في البلدان التي اكتشفوها في إفريقيا وآسيا، يجب أن نلقي نظرة على الأمور السياسية والوضع الاقتصادي كما كان في تلك الأراضي والبلدان التي كانت الأكثر تأثراً بتدخل الغربيين في شؤونهم، وعلى الأخص تلك البلدان التي تهم مؤرخينا الحضرميين.

(3) الشحر في الفترة البرتغالية

ضمّن روبرت سرجانت الجزء الثاني من المقدمة التي وضعها لكتابه (البرتغاليون قبالة سواحل الجنوب العربي) مبحثا قصيرا بعنوان (الشحر في الفترة البرتغالية)، ونقدم هنا ترجمة كاملة لهذا الجزء.

بعد عدن، كانت الشحر تشكل أهم مدينة وميناء في ساحل جنوب الجزيرة العربية. وبالنسبة لسلطان عدن، من المفيد ماليا أن يحكم سيطرته عليها من جهة البحر، وهذا يكفي لضمان عائداتها. ومع ذلك من المفيد السيطرة عليها من الداخل. لهذا كانت الشحر تخضع من حين لآخر لسيطرة حكام عدن، وتدفع لهم الضريبة. ويذكر (ملخص الفتن) قائمة بالبضائع المرسلة إلى السلاطين الرسوليين كرسوم عينية: مثل العنبر، والكافور، واللؤلؤ، وفتيات الرقص الهنديات، وقطط الزباد. يا له من مزيج ساحر!

وكان السلاطين الكثيريين، الذين لا يزال أحفادهم يحكمون سيئون حتى يومنا هذا، قد احتلوا أجزاء كثيرة من حضرموت من جهة الشرق، ويبدو أنهم ينحدرون من ظفار. ومنذ سنة 867 هـ (م 3-14-1462) كانوا يمتلكون الشحر، بعد أن استولوا عليها من الطاهريين. وكما سبق أن ذكرت، تشكل الشحر نقطة الانطلاق لزيارة قبر هود السنوية. إضافة إلى أنها كانت مركزا للتجارة مع

الهند؛ فهي الميناء الذي يهاجر منه الحضارم إلى الهند وشرق إفريقيا، ومنها يذهب رجال القبائل للعمل مرتزقة في الخارج، ومنها يسافر العلماء إلى سورات وزيلع ومقديشو ولامو والعديد من الأماكن الأخرى في الشرق الأقصى، وأفريقيا. وكان العلاقة بأفريقيا وثيقة بما يكفي لانتقال الأخبار بحرية تامة، وكان لكثير من العائلات الحضرمية فرع أو أكثر في تلك الأصقاع.

في سنة 1725، ضمّن الفرنسي فان دن بروك كتابه (مجموع الرحلات) وصفا ممتازا لميناء الشحر، وبدا لي أنه من المناسب وضعه هنا على الرغم من أنه يقع زمنيا بعد الفترة التي أرّخ لها بافقيه الشحري [القرن العاشر الهجري]. ولا يزال الوصف يتطابق مع الواقع اليوم. [يكتفي سرجانت بتضمين كتابه الأصل باللغة الفرنسية]

"تقع مدينة الشحر في الجزيرة العربية على خط عرض 14 درجة و50 شمالا، وتمتد فوق رمال قاحلة تغطي حافة خليج كبير، ترسو فيه السفن في متناول مدفع صغير من داخل المدينة، التي تقع في حيز مكاني واسع جدا بسبب تباعد منازلها، المبنية من الطين والمغطاة بالجير من الخارج. وهناك قلعة ذات أربعة أبراج مستديرة، جيدة للتأمين ضد هجوم المشاة، لكنها لن تصمد أمام المدفع. وهناك ثلاثة أو أربعة مساجد. والشحر هي الميناء الرئيسي الذي يمتلكه الملك.

ومعظم الأوقات يقيم هذا الأمير في ديوانه في حضرموت، وهي مدينة داخلية من تقع على بعد يوم من الشحر. ويطلق على الأمير: السلطان عبد الله، وهو ورعاياه من نسل العرب الأصليين. ويدفع كل عام للباشا، نائب الملك العثماني، جزية قدرها 4000 ريال و20 رطلاً من العنبر الجيد".

تقع الشحر على شاطئ رملي منبسط، يغطي مساحة كبيرة. وتضم منازل قديمة أو آيلة للسقوط متناثرة في نطاق واسع. وتتكوّن الواجهة البحرية من الشاطئ الطويل المسطح. وبسبب ضحالة مياه هذا الساحل على السفن أن تظل بعيدة قليلا. واليوم ليس هناك عازل بين الشاطئ والمدينة. وحتى في الماضي ربما لم يكن هناك جدار على الشاطئ. ويبدو أن تشييد الجدار في بعض الجوانب لن يكون مجديا وعمليا، بما أن حياة سكان الشحر، وهم صيادون وبحارة، شديدو الارتباط بالبحر، وبناء جدار يعزلهم عن البحر سيكون غير مناسب.

وحتى اليوم لا يتوقع أن تهاجم المدينة إلا من ناحية البر. وتبدأ الأطراف الشرقية والغربية للجدار من البحر مباشرة، وتلتصق ببناء حجري، ثم تمتد بضعة ياردات إلى الداخل قبل أن تصبح جدارا من الطين يحيط بالمدينة، وفتح به هنا وهناك عدد من البوابات، تكفي للتصدي لهجمات رجال القبائل غير المدعومين بالمدفعية. ويبدو أن وظيفة الأرصفة الحجرية، التي ربما كانت موجودة منذ القرن السادس عشر، تكمن في منع الالتفاف وحماية

السفن على الشاطئ. ومع ذلك، لا يُبرز القائد بلينز أي جدار على الإطلاق في المخطط الذي رسمه للشحر في أوائل القرن التاسع عشر، بينما يظهر الجدار في الرسوم البيانية الأميرالية.

تنقسم مدينة الشحر داخليا إلى (حويف) (hafah)، وسيكون لدي المزيد لأقوله عنها في مكان آخر. وربما تكون القلعة التي وصفها الرحالة فان دن بروك Van den Broeke – وذكر أنها من نمط اليافعي النموذجي (ذي أربعة زوايا دائرية) هي حصن بن عيّاش، الذي أصبح اليوم سجنا. وقد عثرنا في خرائب هذه المنطقة، كمًّا كبيرا من القطع خزفية من الأنواع التي سبق أن تحدثنا عنها في سياق تقديمنا لعدن والمناطق المحيطة بها: سيلادون، وأنواع مختلفة من الفخار الفارسي، وأواني من الشرق الأدنى والأقصى، ومعظمها من أواخر العصور الوسطى. وكانت المنازل نفسها ذات نمط محلي مميز، ولها أحواش وساحات لوضع العتاد.

(4) سياسة آل كثير تجاه البرتغاليين والأتراك

كان تأمين الشحر من جهة البحر نقطة ضعف السلاطين الكثيريين، وكان الميناء يشكل في الوقت نفسه أهم مصادر دخلهم، إذ أنهم يستطيعون بواسطته دفع أجور مرتزقتهم ودعم حلفائهم القبليين. وبالطبع لم تكن الشحر ميناءهم الوحيد في ساحل حضرموت، فقد كانت ظفار، مركز تجارة الخيول إلى الهند، تخضع لهم. لكن يبدو أنها كانت إلى حد ما مستقلة عن سيطرة سلاطين الشحر.

وكان ميناء الشحر مهما كذلك من الناحية الاستراتيجية بالنسبة لآل كثير لأنه يشكل بداية الطريق المؤدية إلى وادي حضرموت (السفلي)، الذي قاموا فيه بأولى حملاتهم التوسعية، وكان حال الوادي أفضل مما هو عليه اليوم. وسبق أن أوردنا، في سياق تقديمنا للشحر في فترة الحملة البرتغالية، أن فان دن بروك قد ذكر أن هناك مرسى جيدا في الشحر، ليس بعيدا من اليابسة. وهذا يجعل الميناء مفتوحا ومعرضا للقصف من البحر، كما حدث في الواقع سنة 938 هـ.

وبسبب قلة المدافع، لم تكن المدينة قادرة على حماية السفن الراسية في الميناء. وقد ذكر المؤرخ بافقيه الشحري أن القراصنة البرتغاليين قاموا بإغراق السفن في الميناء، كما

كانت عاداتهم. وحسب ما ذكر فان دن بروك عبّر السلطان الكثيري عن مخاوفه من انتهاك البرتغاليين لطريق الملاحة.

وكانت قرصنة البرتغاليين قد أصبحت حينئذ من علامات العصر. وبسببها أضطر سكان بروم إلى الانسحاب إلى قرية بعيدة عن الساحل، وتحصنت بلدة الحامي الجديدة داخل مضيق يمكن الدفاع عنه، وكما نعلم، تعرضت الحامي القديمة لهجمات متكررة من البرتغاليين. وكان من اللازم الحفاظ على الشحر من الأذى مهما كان الثمن. وفي ضوء تلك المعطيات، علينا أن نقيّم اتِباع آل كثير سياسة المداراة والمهادنة وعدم الدخول في صراع مع البرتغاليين والأتراك. حتى بافقيه الشحري يعترف، ضمنيا، بضرورة المداراة والمهادنة مع الكافر، على الرغم من أنه يقتبس من عبد الله بامخرمة إدانة حاكم عدن لاتباعه هذه السياسة.

لقد كان بدر بو طويرق مجبرا على أن يصبح حاكما تابعا للعثمانيين. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن جامع فتاوى بامخرمة وصف السلطان بدر بن عبد الله بو طويرق بأنه (والى الشحر)، أي الوالي. وكانت الشحر أهم ممتلكاته، وقد وصفه كما يوصف السلاطين القعيطيون اليوم بأنهم سلاطين الشحر والمكلا.

ومن خلال ما جاء في مصادري المخطوطة، أشك في أن بدر كان أول سلطان حضرمي، من سلالة آل كثير أو من سبقهم، الذي حمل

لقب والي، الذي يستخدم أحيانًا من قبل الكتاب، مثل باجمال ومؤلف (النور السافر)، بدلا من السلطان، وربما هذا يعني الخضوع لعدن، على الأقل اسميا.

ونعلم أن الباشا التركي سليمان الطواشي فرض في سنة 945 هـ (1538م) ضريبة سنوية قدرها 10000 أشرفي على الشحر؛ واستمرت الشحر تدفع هذه الضريبة للعثمانيين حتى وقت متأخر، وكانت قائمة حينما زارها فان دن بروك في القرن الثامن عشر. وقد أشار صاحب (النور السافر) بشكل غير مباشر إلى جشع الأتراك. ولكن حتى مع السماح للأتراك بالحصول على نسبة مهمة من إجمالي إيرادات الشحر، لا بد أن دخل الميناء كان كبيرا ليتمكن بدر من مواصلة حملاته في حضرموت.

ومن المحتمل أن يكون الطلب التركي مبنيًا على المبالغ التي يُعرف أنها كانت تدفع لأسياد سابقين - وهي بالفعل مسجلة بالفعل في (ملخص الفتن)، الذي يُعلمنا كذلك أن تلك الضريبة كانت تبعَث للرسوليين، كما كان الحال في عهد سيطرة الأتراك. ومن قبيل المقارنة يمكن أن نستشهد بما ذكره الضابط ساريس، الذي ذكر أن الضرائب التي كان السلطان العثماني يفرضها على ميناء المخا سنة 1611م بلغت 1.500.000 الترتر، وتعادل 37500 جنيه إسترليني.

وبطبيعة الحال، لم يفوّت السلاطين الكثيريون ولا أعداؤهم المهريون في قشن أي فرصة لجعل التنافس بين القوتين البحريتين العظيمتين في المحيط الهندي [البرتغايون والأتراك] يصبّ في مصلحتهم الخاصة، كلما أمكن ذلك. فبدر بو طويرق استخدم الفرسان البرتغاليين لتوسيع فتوحاته ودعم سلطته غير الراسخة في غرب حضرموت حينذاك (سنة 945هـ أي1538-1539م). كما أنه تحصل في أوقات أخرى على مساعدة الأتراك في حروبه تلك.

وفي تلك الأيام، لم تنمسح من الذاكرة الشعبية للمهريين حملات بدر أبو طويرق ضد المهرة، ويحتفظ آل بن عفرير في قشن بحكاية تسجّل أنه أباد جميع ذكور الأسرة، باستثناء طفل واحد، لم يكن قد ولد بعد، وأخفت أسرة بيت الزويدي والدته الحامل، وفيما بعد قام بدور بارز في مصير المهرة. (كرس سرجانت الملحق الرابع لكتابه لسرد تلك الحكاية: بدر بوطويرق والمهرة في الأسطورة والتاريخ ص155-158)

وفي السنوات الأخيرة، عثر مهندسون من الشركات الأمريكية للتنقيب عن النفط في ريسوت، التي تقع اليوم في الأراضي العمانية، على ما اعتقدوا أنه حصن برتغالي، وبداخله اكتشفوا على أجزاء من الفخار البرتغالي. ولم تتم الإشارة إلى وجود ذلك الحصن من قبل أي مؤلف حضرمي معروف لي. وأرى أن مخططه في الأرض مختلف تمامًا عن قلاع جنوب الجزيرة العربية، وأن نسبته للبرتغاليين مشكوك فيها.

وفي مختلف مراحل التاريخ الإسلامي المعروفة لنا ليس هناك مثيل لفتوحات بدر بو طويرق في التاريخ الحضرمي. ويمكن أن نعزو نجاحه الأول [ضد البرتغاليين] إلى امتلاكه أسلحة نارية وبنادق، على الرغم من أن هناك من سيرد بأن سكان الأحروم كان لديهم أيضا بعض البنادق - أو أن الضابط البرتغالي لم يكن قد أصيب برصاصة بندقية. وقد ذكر جميع المؤرخين اليمنيين أن الملك الطاهري عامر بن عبد الوهاب قد هُزم بالأسلحة النارية للقوات المملوكية والتي كانت حتى ذلك الحين غير معروفة في جنوب شبه الجزيرة العربية.

لكن لم تدم غزوات بدر بو طويرق طويلا لأسباب لا يهمنا عرضها هنا. ولم يحظ حرص السلاطين على استرضاء البرتغاليين بدلا من مقاومتهم، بل والذهاب إلى أبعد من ذلك وتثبيط مقاومتهم من قبل رعاياهم، بالتأييد الشعبي في جميع مناطق حضرموت. وفي بداية الهجمات البرتغالية، يبدو أن الحس الديني القوي في حضرموت قد تجسّد في الرغبة في الجهاد، لهذا نزل المشايخ آل العمودي من دوعن إلى الساحل سنة934 هـ أي 1527-1528م، بهدف واضح؛ هو الانخراط في الجهاد المقدس. ومن المؤكد أن التفوق البحري للبرتغاليين قد أحبط أي مشاركة فعالة ضدهم من قبل المجاهدين. ومع ذلك يكشف (مجموع الفتاوى) عن تنامي قوة الشعور الرافض للبرتغاليين في تلك الفترة بين المتدينين، ويمكن للمرء أن يقول بين أوساط الأدباء كذلك. وفي نظر

المتدينين والأدباء كان السلاطين الكثيريون لا يزالون، في ذلك الوقت، بدوا أو قبائل، ولم يكونوا مشبعين بالكراهية الدينية ضد البرتغاليين. ويبنيّن ما ورد في كتاب (النور السافر) أن بدر بو طويرق كان يشرب مع البرتغاليين في الشحر، أن الجماعات الدينية كانت تعتقد أن السلطان كان يحاول التوفيق في الوقت نفسه بين الإسلام وبين تجاوز أحد تعاليمه.

وفي تاريخ متأخر قليلا (1590م)، عندما أجبر الراهبان اليسوعيان على القيام برحلة إلى صنعاء عبر حضرموت، أظهر السلطان الكثيري تسامحا كبيرا فيما يتعلق بدينهم. ومع ذلك، كادت ديانتهم المسيحية أن تتسبب في موتهم في تريم.

وبالنسبة للطريقة الهمجية والمهينة التي تعامل بها البرتغاليون مع المسلمين فقد وصفها أحمد زين الدين المعبري المليبارى، [مؤلف كتاب تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين]، لكن علينا أن نأخذ بيعين الاعتبار أن ظاهرة قلة الاهتمام بالحياة البشرية في البحر الأحمر وخليج عدن كانت ولا تزال سائدة حتى في القرن العشرين كما نلحظ ذلك في كتابات [المغامر الفرنسي] هنري دي مونفريد. (انظر، مغامرات في عدن، في كتابنا عدن في كتابات الرحالة الفرنسيين، 2004).

وتحتوي حوليات سنة 939هـ (1532-1533) على ملاحظة عابرة ومهمة، تشير إلى أن البرتغاليين باتوا يعلمون أنه لم يعد في الشحر

لا بضائع ولا نساء، ولهذا تخلوا عن فكرة التوقف فيها. وهذه الملاحظة تبيّن أن البرتغاليين كانوا ينتهكون أعراض النساء في أي فرصة، ويعد هذا العمل بغيضا للغاية ومنافيا للقواعد الصارمة المتبعة في الحرب القبلية. فقبل سنة 983هـ (1575)، رصد كاتب هندي أن المسلمين الذين يسافرون من الهند لأداء فريضة الحج عن طريق البحر إلى مكة كانوا يعاملوا بعنف من قبل البرتغاليين الذين كانوا يحملون صور مريم واليسوع. ولم يكن الأتراك أقل ترويعا للحجاج من البرتغاليين، لكنهم كانوا مسلمين، وأبطال في سبيل الدين، على الرغم من أنهم يتبعون المذهب الحنفي وليس الشافعي السائد في جنوب الجزيرة العربية، إلا قد إلا أن هذا يعد قضية داخلية.

باختصار، إذن، فإن الوضع السياسي الذي يمكن استخلاصه من الحوليات الحضرمية يتلخص في الخضوع -وفقًا لأفضل الشروط المتاحة -للقوة البحرية المهيمنة في كل مرحلة؛ سواء كانت برتغالية أو تركية، بينما استمرت النزاعات والحروب الداخلية مثلما كانت تجري منذ أقدم العصور.

ومن خلال الوثائق الكثيرة التي لدينا، أصبحنا على دراية جيدة بالموقف البرتغالي تجاه سلاطين المناطق الساحلية في الجنوب العربي. وبالنسبة للجزء الذي لموقف الأتراك، فإن المصادر التركية المتوفرة الآن بالكاد تمّ حصره وطباعتها. ومن المحتمل على الأقل العثور على نسخ من الرسائل والمراسيم المرسلة إلى

اليمن والشحر من السلاطين العثمانيين في القسطنطينية في الإرشيف العثماني هناك.

وعلى الرغم من أن المصادر العربية للمآثر المذهلة والشجاعة للبرتغاليين في الهند والبحر الأحمر في حالة أفضل مما فعله الأتراك إلا أنها أيضًا تم إهمالها قليلاً. ومع ذلك، لا يمكن القول أن الأحدث الرئيسية والأكثر بروزًا التي سجلها الكتاب الحضارم تعد جديدة بالنسبة للمؤرخين - الذين لن يعثروا فيها إلا على تفاصيل بسيطة يعرفوها من قبل.

ومن ناحية أخرى، تم إهمال تأثير الاعتداء البرتغالي على عمليات الشحن في الموانئ الساحلية في الجزيرة العربية إلى حد كبير؛ وبسبب شح المصادر الأصلية أصبح من المستحيل عليهم تقييم سياسات الزعماء والحكام المحليين بشكل سليم.

وعندما يتعلق الأمر بالمهرة، لا نزال نفتقر تمامًا للبيانات التاريخية الكافية، على الرغم من وجود بعض المعلومات التي قدمها المؤرخون الحضارم.

ويبرز المؤرخون الحضارم، الذين تمت ترجمة نصوصهم في هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، الجانب الآخر للصورة التي قدمها لنا الكتاب البرتغاليون. وهم من بين العلماء المشايخ والسادة. الذين يهتمون بشكل مهني بالدين والشريعة، لكنهم ليسوا على دراية بأنشطة الملاحة البحرية لزملائهم الوطنيين - والتي كانت

بالطبع موضوع خلافات ومقاضاة يومية في المحاكم. وبالمقابل كانوا على اطلاع جيد بالأحداث الجارية في بلدان السواحل الأفريقية والآسيوية في المحيط الهندي الذي كانت تربطها ببلادهم علاقات وثيقة.

(5) التجار اليهود والهنود والأفارقة في جنوب الجزيرة العربية

ما أجمل الصورة الكوسموبوليتية (متعددة الأعراق) التي تقدمها لنا كتابات ابن ماجد وسليمان المهري للسكان والحياة التجارية والبحرية في موانئ الجنوب العربي.

ومع ذلك لم يكتب المؤرخون العرب شيئا يذكر عن التجار اليهود بكل خاص، الذين أصبحت أنشطتهم - في فترة سابقة- معروفة لنا من خلال ما كتبه الأستاذ س. جويتينف في الوثائق التجارية الخاصة بالقاهرة.

ولم يكن من النادر أن اليهود قد عملوا وسطاء للبرتغاليين في بداية اتصالهم بشرق إفريقيا والهند. لكن على الرغم من أن اليهود قد ذكروا في حالات عدة في (فتاوي) ابن جغمان وبامخرمة، لست متأكدا من أنهما يقصدان غير اليهود اليمنيين المحليين. ويروي المؤرخ البرتغالي ب. دي. الفارز قصة يهودي كان يقيم في سلطنة فرتق المهرية.

ويبدو أن المقيمين الهنود في الموانئ الكبيرة [العربية والإفريقية] المطلة على المحيط الهندي كانوا أكبر عددا مما هم اليوم. وبما أنهم كانوا في الغالب هندوس، وقد حرص مؤلفو (الفتاوى) على توضيح طرق التعامل معهم وعلاقتهم بالمجتمع الإسلامي، إضافة إلى الدور الذي قاموا به في التجارة. وعادةً يطلق العرب على الهندوس: البانيان. كما أنه بفضلهم أصبحت كلمة (كراني) مألوفة بين العرب.

وقد تناول ابن جغمان الطريقة المهينة التي عامل بها البانيان المسلمين، وذكر (مجموع الفتاوي الحبشية) التي شاهدتها في دثينة، المشكلة التي برزت عندما وظف الهندوس خدما من المسلمين للقيام بأعمال تحط من قدرهم كمسلمين، كالتكنيس مثلا.

في مجال التجارة، أشار ابن جغمان إلى رجل اشترى قطعة قماش من البانيان الكافر، والأقمشة هي السلعة الرئيسة التي كان البانيان يبيعونها. وأشار كذلك إلى حالة رجل استلف بفائدة من رجل بانياني، وحالة هندوسي سجن لعدم سداده لدين عليه لمسلم. وشاهدت نصا قانونيا آخر في مودية، -من الواضح أنه ينتمي إلى هذه الفترة - يتعهد فيه رجل مسلم بتسليم سوار لرجل بانياني.

من مختارات روبرت سرجانت النثرية والشعرية

هَذِهِ المقامَةُ فِي أَهْلِ الشِّرَاحِهِ بِحَضْرَمَوْت
تأليف الحَبِيبِ البَرَكَة طاهر بن الحُسين بن طاهر العَلَوِيّ
نفع الله بسِرِّه آمين

الحمد لله رب العالمين، ومن كلامه، رضي الله عنه ورحمه، قال: ومن جملة أمّهات المنكرات هي الشِّراحه، العاريه من الحسن والملاحه، والخاليه عن الوسيع، الملازمه للجفا والوقاحه، المصاحبه للحفا والرّطاحه.

وذلك أنّ قبايل حضرموت، الذي أستتر لهم من الحياة الموت، تسلّطوا على أموال النّاس بالباطل، وَأستولوا عليها بغير وَجْه ولا قِياس، وليس لهم فيها شُبْهه، لا كثير ولا قليل، ولا ملك ولا حَبّه ولا فتيل، ولا يستأجروهم أهل الأموال، عليها بحال، ولا أذنوا لهم أن يسيروا في ملكهم ساعه، ولا طلبوا منهم نظراً ولا نفاعه، والشّارح يرى انه أحقّ بالمال من مالِكه الأصيل، ويقول: «هذا عندي» ولا يستحي، من الخلق ولا من الخالق الجليل، وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ، وحسّن لهم خِصالهم، وحبّب فيهم فِعالهم

فتراهم للنُّصح لا يسمعون، وعمّا امروا عليه لا يرجعون، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ، قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ. قد أُسِرُّوا على الفساد، وكثر ضَرَرهم على العباد، وإذا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ

بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ. ولْيَتَهَمْ مع هذا كلّه لا يسرقون، ولا للأجرة المقابله لا ياخذون، أو بما يُخَلِّفه لهم صاحب المال يرضُون، وبه يَقْنعون، وباهل المال يتلطّفون، ويتواضعون، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

فترا أحدهم إذا أراد أن يخرج، ويسير على المِشْرَاح وَيَدْرِج، تشكّل وتشمّر، وتثلّث وتعصّر، وتعصّب بالصّفير وتَزَرْزَرَ، وعصب يده ورجله بكُبَّه من الشَّعر، وتعاظَم وتكبَّر، وترفّع وتجبَّر، وتهزّع وتَبَخْتَر، وكلما سار قليلا تَمَحْكَم وتَنَفَّر، وظنّ انه بلغ الفوز الاكبر، أو مَلك مُلك كسرى وقيصر؛ لا يمرّ على المسكين الاّ قَهَرَه، ولا جزم الاّ كسّره، ولا صاحب المال الاّ وَنَهَرَه؛ يقول، «ما لكم تُخبّرون، أو تَقْطَعُون، قبل ان تَصِلُون، إلَىّ وتُشَاوِرُون، فالآن ما كتب الله لكم قطيع.»

ويخرج جُمْله من الكلام الفضيع، والشّتم الشّنيع، وصاحب المال يسير خَلْفَه وَوَرَاه، ويتلطّف به ويترجّاه؛ والشّارح مُعَبِّس وَجْهه ومُزْبِم ومُغْضَب، ويمدّ يده ويَعْثُر يُذَبْذِب، وَيَمْضِى عُمر صاحب المال وهو فى مُعاناه، ومُداهِنَه ومُداراه، حتّى مع أولاده ونِسَاه، وَخَدَمه وأرقّاه، يتودّد إليهم بالهدايا والحكايات، وانواع المُضْحِكات، لعلّهم إليه يضحكون، او فى وجهه يتبسمون، وهم به يَسْتَهْزِءُون، ومنه يسْخَرُون، هذا إذا هم منه راضون، ومنه مُسْتَكْبِرون

وبعض من الشّرَح يظهرون، أنّهم عن الحَرام يتورّعون، وللصّلاح يدّعون، ولا يدرُون، أنّهم للسُّحْت آكلون، وهم به مغرورون.

قل لهم : فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. فتراهم حاملين السُّبَح يسبحون ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ، ويُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فهل سمعت أيها الانسان لِمثل هذه المُنكَرَة[٣] أو هل رأت عيناك مثل هذه المُجْهِرَة[٣] ؟

فكم في الشِّراحه من عيوب ، وكم تحتوى على جُمله من مُوبِقات الذنوب ، الذى تَخْسِف بالقوالب والقلوب ، وتُسْخِط علاّم الغيوب ، كالدّلاله القبيحه الشامله للعار والفضيحه ؛ وهى أنَّ من باع مالاً مما عندهم ، أو الذى تحتهم ، اخذوا الشَّرَح حِصّة من دراهم البايع ، وحصّة من المُشْتَرِى ، يتخلّصونها فى الحال ، وكأنّه باع أغْلا البضايع ، وهو لم يعقِدْ بينهما ولم يسعَى ، ولا ينصُب ، ثم يَبْرَح على المال ، فى الحال ، ويُذيق المشترى اشدّ النكال ، وياخذ الحِصّة الوافِره فى جميع الخِصال ، ويمُنّ على المشترى كانّه تفضل عليه بأعظم نَوَال ، ولا عليه شئ فى الغَرامه ، ولا فى جميع الخَسَاره . بل يقول : « مالكم لا تَعْمُرُون ، وللمال لا تَنْظرون ، أعمُرُوه قبل ما يَفوت ، وتَعَهَّدُوه قبل لا يموت ! » لعلمه أن فَوَاته مَضَرَره عليه ، وثمرته عايده إليه . ولم يزل صاحب المال مُسخّر للغير ، وفيه فَوَات وذلّة ، وحَسْرة ، وتحسُّر ، وتأسُّف وتحمُّل ، وبؤس وضَيْق .

فيا عَجَبًا ممّن يبيع الأحرار بالأرقّا ، ويتعوّض بسلامة الخاطر وراحة . الشِّقاق والعِلاق . ويترُك أُنس الوَحْده ويخالِط اهل النِّفاق . فالعزيز من جلس فى الدّار ، ولم يُعاين أُولئك الأشرار ، وأُفٍّ لِمال يُذِلّ الانسان هٰذا الإذلال ، وتَبًّا لدنيا تُوصله الى هذا المجال !

وإنما تكلمنا بهذه الكلمات الرجال، رجاءً ان يسمعها أحد منهم بإنصات، وخشوع وانضباط، فيتوب من ذنبه، ويرجع إلى ربه، فرحم الله مَنْ أهدى الىّ عيوبى، ونبهنى بذنوبى، وذكّرنى فان الذكرى تنفع المؤمنين، ورحمة الله قريب من المحسنين، والله يحب التوابين، ويحب المتطهرين؛ والتوبة لها شروط، وحُكمٌ مضبوط، ليس بثقلة اللسان، وتحريك الرأس والبنان، والله على القلوب رقيب، وكلّ ملاقيه عن قريب، ويسمع ما قاله سيّد الأنام، فى الحرام.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن لله تعالى مَلَكًا على بيت المقدس ينادى كلّ ليلة، من أكل حرامًا لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا،» أى لا نافلة ولا فريضة. وقال عليه الصلاة والسلام: «من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم ومن ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه» وقال عليه الصلاة والسلام: «كلّ لحم نبت من حرام فالنار أولى به.» وقال عليه الصلاة والسلام: «من لم يبالِ من أين اكتسب المال لم يبال الله به من أين يدخله النار.» وكم فى الآيات والأحاديث من تشديد وكم فيها من تهديد، ما يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، ومن زعم أن الشراحه حلال، من غير أن يستأجر من صاحب المال، بتجاره صحيحه بلا إشكال، فقد التحق بحزب الضلال وصار عقد إسلامه إلى الإنحلال، والخزى والوبال، والعذاب والنكال والسلاسل والأغلال، لانه عاند شرع الله الكبير المتعال، وخالف ما أمر به الرسول وقال: «فالله الله! عباد الله من هذا الخلال.» فإن الله يعلو

خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ. فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ. فإنكم عن قريب مَيِّتون، ومستحصدون ما تزرعون، وإنما تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ فإن قال قايل منهم إنهم للنصيحة لا يسمعون، ولا للحق يتبعون، ولا بالمواعظ يتّعظون. قلنا: «مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، وإنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ!» والسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فصل فى ظهور الفَضَح

وراحة الشَّرَح. والذَّبح والقدح، وفى التخبير والتقطيع، والشواغل والتفريع، وفى التحصيص الذى يأخذونه، وما يخونون صاحب المال وينهبونه

فشرحنا بعضه، ونسأل الله المَعُونه، على ذكر أحوالهم الخبيثة وما يفعلونه؛ (فنقول: «والله الموفّق للصواب») بأن يوقفنا وإياكم للتوبة وينهّى الأسباب، إنه كريم وهّاب. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، متوسلين إلى الملك العظيم، بالنبى الكريم، والبيت الحرام وزمزم والحطيم، بأن يُزيل هذا الأمر الذميم الشنيع، والمنكر الذى ليس له رادع ولا مُقيم.

فأوّل ما به يَبْدُون، والذى عليه يجتمعون، ويتعاقدون، إذا ظهر فى النخل الفَضَح، يظهر منهم التمزّاق والمزح، وكثّروا فى الحريف والفَضَح،

وفكّوا ما عندهم من النساء والثقل، وقالوا لهم: «اكثروا على المساكين من الزلل، وشخّروا الطُرق ولا تستترون الغريب إذا نزل»؛ وان كان مولاً سلب كلّموه بسهل. وانتم كلوا ما زالهُ مُعطّل، قبل ان يصلوا له الشماء، الذين لا يخرجون منه زكاه، ولا يكرمون مسكين من حق الله، ولا يعرفون قدر ما ذمّ لهم وحماه. وقد يسبّون أهل المال، باكثر من هذا المقال، وينتهكون عرضه قبل الأنذال والسوّال، ولا هم حاسبين أنّ عليهم في ذالك سُوال، ولا هم ميقنين بالعرض والوقوف والزلازل.

فاذا وصل صاحب المال للتحبير، أرسل لهم الكبير والصغير وشاورهم بلطف أنْ «نحن عازمين على التحبير، إن كان أنتم لا هيين والا بانيه» فيجيبون بعد ساعه، ويقول الشارح: «انتم حاسبين لنا في تخليفه طعاعه، وقد نحن الا با نرسل لكم قبل اليوم، لأن هذه السنه الخريف الا شوم، واذا تخلّف كثر علينا اللوم، ويظهرون نقص الخريف وقليله وهونه». ويذكرون أنه به ضمّا وجنات ويستخطون، لاجل يثبت حساب الذى با يوخذونه، ويخرجونه، ويوكلونه؛ ويقول صاحب المال لجعلاه: «كلّ نخله يسير نخبرها واحد، وانا في هذا المكان قاعد لانظر من هو منكم مساعد».

فإذا سار الجعيل، وقالوا له: «إحذر من طرحنا وردعوه!».

فيقول الضعيف: «الذى لكم عيّنوه».

فيقول الشارح: «كلّ صغير ولد خلّفوه، والحذر تقربوه».

فيقولون : «السمع والطاعه فى الذى ترسموه.»

ثم بعد ذالك تقدّموا للأب وَنَسقُوه ، وهَلَّبُوا أعيالهم ونساهم يخرّطونه واصحابهم ، القريب والبعيد وصلوا له يتسابقون ، وليس للمالك إلّا نظرة بالعيون ، ويبقى جالس وهم يتصابون ، ويتعالقون ويتلاحقون ؛ وبعد ذالك لم يصدِّق مَوْلَا المال بالإتمام ، ولا يَتَلَافَى من الخريفِ الّا الذّمام ، ولا يحصى ما يناله من الشواغل والاهتمام ، اللّهمّ عجّل للشّرح سريع الانتقام ، بحق محمّد سيّد الانام . والغالب صابر مع الشّرح بلا جدال ، فى الخُرْفه والطّرح وقبايح الفعال ؛ ومع ذالك يقولون : « ما خلّف لنا شى صاحب المال.» (ولكن هو ما طرح عليه أقاليد ولا قفال.) « والّذى بغَيْناه نخرّجه بغير اشتغال.»

فاذا نجح الخريف وصار مُشْتَصِف ، قرّبوا له المحافر والمغادف ، وسبّروا يشلّون فى الإدراكا والملاجف ؛ فاذا حصّل لهم ما أرادوه ، وظنّوا انّهم قد زبحُوه ، واستفادوا ، ورجعوا الى أماكنهم وعادوا ، والتقوّا ، وتراجعوا على كمّ ما جرى وتبادَوْا . ثمّ أخذوا بعد ذالك جالسين قدر عشر أو ثمان ، وهم يذبحون من الغنم السمان ، وفى غاية الرّاحه والإطمئنان ، كانّهم قاموا شرايع الاسلام والايمان ؛ كلّا ! بل هم هادمين منها جميع الأركان وسالكين طُرُق الشّيطان ، ولا يظنّون ان مَصيرهم الى النّيران ، أعاذنا الله تعالى منها ، وسلّمنا وإيّاكم من مَسكَنها ، وجعلنا سالمين من هذه الاهوال ومحنها !

ثم بعد ما تمضى هذه الأيام ، وكّدُوا للنّخل الجعَلَا الرّحام ، وقطعوا جميع السّعف الأصفر والجُزوم والأقصام ، قاتلهم الله ما يخافون عقوبة المَلِك العلّام ، ولا يهابون العار والنّار والملام ، كانّهم لم يدخلوا فى دين

الاسلام، ولم يُوقِنُوا بذَوْق الحِمَام.

وبعد ما يفعلون هذه الامور الشنيعه، والمناقب الفضيعه، ويقبضون من الذنوب والآثام القبضه المنيعه، نفَذُوا إلى اهل المال الصَّوَالِح وقالوا لهم: «ادركوا لِأنّ الخريف ناجح، وقد دَهَمَنَا هذا الشهر رمضان فيه المَتْجَر الرّابح، بَيْن تفرّغ فيه للعباده والمسالح.»

فيَصِلون أهل المال، في الحَالِ، لأنهم إن خَلَفَوا ما يَقَعْ عليهم في ذالك نكال؛ فاذا وصلوا الى المال، وسَبَّوا يقطعون، وصلوا إليهم المَقَادِمَه يتهزّعون، وقالوا لهم: «لِمَا لا تُرسِلون للشَّارح ولا عليه تَنبُّون؟ إمنَعُوا أيْدِيكم لحتّى له تُوصُّون.»

فيمتنع صاحب المال من ماله، ويبقى مناظر كيف يكون حاله، وخايف من الأذى والشَّتم الذى يناله؛ فعمّا قليل يصل الشارح كأنه عفريت، وقد مدّ النظر وهو يلقي نهيت، إلى ان يَصِل عندهم وهو يُلقِّي البَلِيت، فيقوم صاحب المال ويعتذر إليه، ويتضرّع له ويسقُط عليه، والشّارح مُغضَب، ويضُبّ ويمدّد يدَيْه. ثم بعد يتوجه اليه الحاضرون، ويطلبونه أن يخلّيهم يقطعون، وان زَلّوا فهم معترفون؛ فيفسَحْ لهم بعد أمر كبير، ومَغِث وشتم وكلام كثير، وصاحب المال ذليل حقير.

فيقومون، ويقطعون ما حصّلوه وهم ساكتون، كأنهم بكُم لا ينطِقُون أوعُمْى لا يبصرون؛ فيتبع كلّ جَعيل منهم حُزْمَه وسُقْله، وبيده مِحْفَر ومِحْمَلَه ومِنْظَلَه، كلّما سقط من التمر التقطوا بعَجَله، وإن سقطت خُبْزَة، طَيّرُوها وألقَوْا عليها مُقْلَه،

فاذا فرغوا من التقطيع والتفاضه والقاساه، قام اليهم الشارح الكبير واعتمد على عصاه، وتنحنح وتخنخر، وقال: «حصصوا الزكاه، وهاتوها الي وانا افرقها بين الناس من غير عكاه.» ولا يمكنهم يخالفون له شوه، وياخذها وهو يتزيوم مثل الثور، ويخرجها في غير محلها ولا يرد لخذ شوه، ويؤثر منها أقاربه، وأعوانه وأصحابه، وأهله وخدامه وأحبابه، ولا يخاف عذاب الله ولا عقابه، يوم يعطى باليمين كتابه، ولا ينفعه أحد منهم بما أصابوا، ولا يرد شي من توبيخه وعتابه، يوم يلقا الفضايح والقبايح من حسابه.

جعلنا الله واياكم يا سامعين ممن للعواعظ إستمع، وترك ما يسخط ربه وللخيرات أجمع، وصام في مرضات خالقه وعن معاصي أقلع، إنّ أحسن المواعظ النظم والكلام، وبيّن الآيات لأهل العقل والأفهام، كلام من بيّن الحلال والحرام، وفقنا الله واياكم لأخذ الحلال واجتناب الحرام والآثام، وسلمنا وطهرنا من هذه الشراحه فإنها من الكبايير العظام، غفر الله ذنوبنا وذنوبكم بحق محمد وآله عدنان، وكفانا واياكم شر الفتن والامتحان، وأحلنا برحمته في أعلا الجنان، إنه كريم منان، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، الحمد لله رب العالمين.

كتاب البسط والسلوه للمحاوره ما بين الشاهي والقهوة

لمؤلفها عبد القادر بن عمر بن أمبارك شيبان الملقب الشعيره

(رحمه الله تعالى)

يقال كان وصول الشاهي وظهوره أولا بمكة المشرفة عند الاعيان من جهة القريب سنة ١٢٧٤ وهذه المحاورة بين القهوة والشاهي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منوع المطاعم والمشارب، ومُبدِي الصنايع والعجايب، منور الاشجار بالازهار، وخصها بخصايص الفضل من غرايب الاثمار، ومن الزهور البارعه، والاثمار اليانعه، ما يفتسح بها الانسان، ويتفيح به صفاء الاحبه والاخوان، قطوفا دانيه، وعناقيد حاليه، احمده حمد الحامدين، وأشكره شكر الشاكرين، على ما أولى من النعم، وأسدى من مواهب الفضل والكرم، وأصلي واسلم على حبيبه المصطفى، وعلى آله الشرفا، واتباعه الخلفا، واصحابه اهل الصدق والوفا، ما دق منخاز اهل المقاهي، وما حرك النسيم ورق الشاهي.

أما بعد ايها الاخوان، فالداعي لهذا الشان، قصة بهيه، وحكايه جليه، وهي أنه جاني بعض الاصحاب، من الاخلاء والاحباب، وقال لي: «أطلب منك منشور، من الجوهر المنثور، لينتظم به السلك الجريري، وينتسج به نسج الحريري، في وضع نبذه لطيفه، وقصه خفيفه، تكون بهجه للناظرين، ولذة للسامعين، يلتذ بها السامر في مسمره، ويخطب

بها الخطيب على مِنْبَرِهِ، بين قوم المقامى، وعُصْبَة الشّاهى، فانّى أهدى لك فنّ ونَطْق حَسَن. فى هذا الاسلوب، فباشِرْنى بالمطلوب.» فقلت له: «يا اخى أعْذِرْنى فى سِلْك هذا الامر. والنّظم والنّثر، ولا تكلّفنى فانّى معذور، من المنظوم والمنثور، ولهذا الميدان فُرسان، واىّ فرسان. وفيهم الحِكْمة الباهره، والرّموز الزّاهره. إحتسَوْا كُئُوس الحِكْمه، وشَمِلَتْهم من الله النِعْمه، ونطقت بها السنتهم كِلْمه بعد كلمه، وانّى، والله خَلِى، عن ما تطْلُبُه فى، ولا علم لى، بيابس عِذْقَه، ولا بِرَطْبه، فالتمس يا اخى غيرى من القوم، من ذوى الاسرار والعلوم، والعقول والفهوم.»

ولم يزل يطالبنى، اذ لم يقبل عذرى، ولم يَسَعْنى، الاّ ان اسعفُهُ بالمطلوب وما هو بقصده، ولم اجاسر على رَدّه. ثمّ انى جلست بميدان الفِكَر، وطُفْت بمرءاة النّظر، واَسْتَعِنْتُ بالله الحكيم، والفَرْد الرّحيم، وقلت: «لا حول ولا قوّة الا بالله العظيم، يقول الفقير الرّاجى من ربّه، المعترف بذنبه، فَتَحْتُ بابَيْن من ابواب فكرى، فشخّصت شخصَيْن من نطق حِكْمتى، ونَصَبْتُهما للمناظره، وأقَمْتُهما للمحاورَه.

فخرج كلّ واحد منهما من بابه، يختال فى مَشْيِه، ويجُرّ ثيابه، الأول اصفر مُسَرْبَل بسِرْبال، والثّانى احمر عليه سروال. الاصفر نائب المقامى، والاحمر نائب الشّاهى. فجلسا يتحادثان، برهةً من الزّمان، الى أن وصلا الى خَرْق العاده، ومن منهما يكون له الشّرف والسِّياده، فقامت قيامتهم، وطالت محاورتهم. فى المجلس الانيس، والمتنزّه النّفيس.

فقلت لهما: «ما لكما، لستم سَوَى، والى ما انتم فى الجَوَى. فكونوا

فى المكان الإستوا.»

ثمّ قال نايب القهوه الاصفر، يتبختر فى حُلّته وخلعته، ويتحدّث عن ماكان فى صُنْعته. وقال: «اسمع يا احمر، إنّ انا الاصل العزيزى، والزّكن العزيزى، انا سيّد المشارب. وبغية المطالب، فانّ والله الزّاجح عقلى، والسّابقه رجلى، قُدِمت فى كلّ ميدان، وطِفتُ بكلّ معيان، انا الكاس الهانى لاهل المعانى. انا المؤيّد المتنى، والكاس الجلى. وانا الجليس والانيس، لا يحضرنى شيطان ولا ابليس. انا الرّوح الرّوحانى. والبيّنة السّريّانى؛ بجالسى انيسه، وعقودى نفيسه؛ وانت يا شاهى، لاهل الملاهى. طعمك حَشيش، ولونك وحيش، تتفاخر بماذا، وتفتخرى على ماذا؟ يا شاهى لا تفاخرنى، وتزاحمنى، واطلب العفو منّى، فإنّ سلطان الكؤوس، ومُحيى النّفوس، وبُجلى كلّ بوس!»

ثمّ قال نايب الشاهى الاحمر: «قمت من مَجلسى، وانتشرت فى مَلْبَسى، ودخلت هذا الميدان، وهذا اليوم يوم البيّان، وإقامة الحُجّه والبرهان؛ الفخر فخرى، والامر امرى، انت يا ابنّ الاصفر تنازعنى، وتقول لى: «اطلب العفو منّى. انا سمير الملوك، فى القصور والفلوك، انا انيس النّجّار، فى جميع الامصار. انا العِقد النّفيس، اجلس يا خسيس، أتَدْرِى من انا، انا كاس الهَنَا، والغايه والمُنَا، انا الشّاهى المذكور، الخامر المشهور، من إحتسانى سَكِر، ومن عادانى خَسِر، أنشِد عن حال شُهْرتى؛ من إحتسا كاس خَمْرتى، يُحدّثك عن آبادى، ومركز عِمادى. فَارْبَأ بنَفْسَك، ما منّ بطنك، غير خَمْسَك؛ اتزاحمنى فى المراتب،

وتطاعمنى فى المشارب ؛ ولا يخفاك حالى ، وبهجة منظرى وجمالى !»

ثمّ قام نائب القهوه، فاهتزّ عند ذلك وهو البن ، وقال: «يا شاهى إسكُنْ !» فخمَلق الاحمر وتلوّن بلونَيْن ، وانقلب على وجهَين .

وقال له البنّ الاصفر: «اتفاخِرنى بالافتخار ، وخبّرى كالشمس فى رابعة النهار ؛ اسمع وصفى ، وقبّل خُفّى ، وقرّر لى بالزياده ، فإنى صاحب السّياده ، ومن ذا يطاولنى ، ومن ذا يزاحمنى ؛ شجرتى معروفه ، وقهوتى موصوفه ، انا البنّ المعلوم ، عندى ذوى العقول والفهوم ، مفرّج الهموم ، ومُبيد الغموم ؛ تمادوا بذكرى ، وتشوّقوا لعُرف نَشْرى ، إذا دُقّ بالمِنحاز دَقّه جليّه ، وفاح من شَذَا عُطرى فى الحَضْرة البهيّه ، البدار لروايح عَنْبريّه ، ونفايح مسكيّه ، ومن غريب سِرّى ، وارتفاع قَدْرى ، أنهم يَتْشَقُونى ، نَشيق المشتاق ، ويَدّعونى ، لتفريج هَمّ مِنضاق ؛ يا شاهى خَلِّ الحَمَق ، وَاسْدَغْ بالحق ؛ وما كلّ مشروب مرغوب ، اسمع شِعرى :

١- أَنَا صَافِيَ ٱلْبُنّ لَصْفَرْ وَلِي عِلْمٍ أَظْهَرْ وَأَشْهَرْ
وَقَهْوَتِي فِي ٱلصِّين تُجْلَا وَشُهْرَتِي فِي كُلّ مَحْضَرْ
بِنُورِيَ يَضِيٓ كُلّ مَنْزِلْ وَسَاحِلِي فِي كُلّ بَنْدَرْ
وَفِي ٱلإِسْمْ كُنْتُ ٱلْمَعَالِي أَنَا ٱلنَّصْبُ وَٱلرَّفْع وَٱلْجَرْ
وَلِلْفِعْل كُنْتُ ٱلْعَوَامِلْ وَلِلْحَال حَالِي وَمَصْدَرْ

أَنَا شَرَّفَ ٱللهُ قَدْرِيْ وَرِزْقِي مِنَ ٱللهِ مُيَسَّرْ
وَفِي جَبْهَةِ ٱلْكَوْنِ سِرِّي يُنَادِيكَ قُلْ أَللهُ أَكْبَرْ

فالبها بَهَايٌ، والصّفا صفايٌ، الحمد لله الكريم، لا تكبُّرٌ ولا تجبُّرٌ، ولا استهزاءٌ ولا تعبُّثٌ؛ وأمّا بنعمة ربّك فحدِّث!»

ثمّ قام نائب الشّاهي الاحمر، فقال: «اسمعوا قولي، واشهدوا فَضْلِي، فقد بُنِيَت لي البناقِل، وفُرِشت لي الحنابل، وحَنّ لي التّمّاوِر، وَمُثِّلَت لي القنابر، وتبرْطَم ورَنّ، وفار وحَنّ، عند ذِكري وَٱذكاري، وَهُوَ البُخَارِي، ثمّ إني أتجلّى، وبكلّ حليةٍ أتحلّى؛ انا كاس الهنا، أتدري يا بنّ من أنا؟ فاني انقُل من هنا الى هنا، حتّى اصير على زُجاج، واندرج عليه اندراج، يتلوّن بلوني، ويَزْهَى بجمالي وحُسني؛ فانا المَوْرِد الصّافي، والمَشْرَب الشّافي، ثمّ يدور بي السّاقي، لأحبابي وعُشّاقي، وهم في المجلس الرّايق، والكلام الفايق، يتّكِئُون على وسايِد، حشْوُها الدّيباج، تصفو بصَفَا الزُّجاج، على فُرُش بهيّه، لينه ووطيّه، في منازل جليّه، تنهادَا حَيْطانُها، وتتمايل اغصان بستانها؛ فافهم الرّموز، يا ابنّ الأنكُوز، فانّه لا يحضر مجلسي، شَيْبه ولا عجوز؛ انا سمير الشُّبّان، وصديق الاخوان، عزيز مطلوبي، ولذيذ مشروبي، انا الرّحيق المختوم، والسِّرّ المكتوم؛ واسمع شعري:

٢- أَنَا ٱلشَّامِيّ أَخْضَرْ وَأَحْمَرْ وَشُهَرَتِي فِي ٱلْبَحْرِ وَٱلْبَرْ
وَمَشْرَبِي لِأَهْلِ ٱلْمَعَالِي وَكَاسِي مَعَا كُلّ مَتْجَرْ
وَفِي مِصْرَ وَٱلشَّام أُنْسِيَ وَفِي ٱلصِّينِ وَٱلْهِنْد أَكْثَرْ
غِذَا ٱلرُّوحِ، وَٱلنَّفْس تُغْذَا بِشُرْبِي كَمَا ٱلْعُود ٱلْأَذْفَرْ
إِذَا مَا تَهَيَّا زُجَاجِي ثُرَيَّا وَأَنَا ٱلنَّجْم لَا زْهَرْ
وَفَوْرَ ٱلْبُخَارِي تَبَرْطَمْ كَمَا طَاسَةَ ٱلْهِنْد حَضَّرْ
لَطِيفٌ ظَرِيفٌ عَفِيفٌ أَنَا عِقْد لُؤْلُؤْ وَجَوْهَرْ
وَفِي مَطْلَعَ ٱلْمَجْد سُعْدِي تَبَخْتَرْ عَلَى ذَا تَبَخْتَرْ
وَمِنْ شَافَنِي حِينَ أُجْلَى عَلَى ٱلْكَاس هَلَّلْ وَكَبَّرْ»

ثمّ قام الاصفر، وقال: «الى هنا يا احمر، خطابكم عجيب، ونظمك غريب، ولاكنك اقصر، وفى مجلسك اخيفر، لا تقصر، فانّى ارى بعقلك خَلَلَ، لحيث فى نطقك زَلَل، لما انك تُمارى، بالسّمار والبُخارى، وقمت باللُّجاج، فى فناجين الزّجاج؛ فالآن أُسكُت لك الوَيل، يا بخم يا ذَيل؛ أُترُك القال والقيل، يا مغفّل يا هَبيل، وعجّل بالرّحيل، يا نَعيل، يا الخادم الجعيل؛ فانسابنا معروفه، وأحسابنا موصوفه، وشُهرتنا منهومه، وحُسْبتنا معلومه، عند اهل الفَضل والفهوم، ولكلّ منّا مقام معلوم؛ وانت شاهى سفيه، وانا ذكىّ نَبيه؛ فقُم وَٱسْرَح لك، وَٱمكُث

عند اهلك. شتّت الله شَمْلك، وخلّس عقلك، تعتزى بالوسيد الوطيه، والفروش البهيه؛ فلا بد من طَرْدك. ولجامك وَشَدّك، فقد نَصَبْتَ مركزك، بنُصب عيني، لو جعلت سماوَرَك من فضّه، وبخاريك من ذهب. وفناجينك من زبرجد وياقوت، فانت الشّاهي، لآهل الملاهي. لو ما السُّنكر، ما كنت تُذكر، سَنكَروك، وخَمَّروك، وتحلّيت بأخمار. وامسيت عيّار، وآختليت بالتُجّار، في المنازل الكُبار، وأغويتهُم عن مساجدهم، وألهيتهم عن معابدهم، حتّى اتخذوك ندّم، يا خسيس يا عديم؛ إرْحَلْ من ارضي، ولا تنازعني، في ديني وعِرضي، ما قولك، لو ما الزُّجاج يُجلّيك، ويُزهّيك، ولو ما السّنكر يطيّبك، ويحلّيك، من في الكَوْن يخاطبك، وينا ديك؛ اسكت بما فيك، يا ورق حنّا وجَبْوُر، لا تزاحم اهل الفضل والنّور؛ انا البنّ الاصفر المشهور، المجرّب المخبور!»

نايب الشّاهي - فقام الاحمر وقال: «اسمعوا يا من حضر، حالي مشهور، وذِكري غير مستور، أتمثّلني بالحنّا والجعبور؟» فالقهوه تشكي وتبكي، والبنّ عنها يحكي ويشكي. «من بهجه جمالي، وصفو كمالي، القهوه لهوه، أف لمشابِش فانها زرّت بالبيوت، عليها العنكبوت؛ أتفاخريني بالمناحيز، يا أمّ المعاكير، قبّضي شِقافِش، وطَوّي شطافِش، شُمارِش قُصُره، ومنخاز وكُنده، ومخماس في مخنه وشِدّه، يا خسّها عِدّه، أسكُتي يا سودا وأرمَدي يا رَمْدا، دُخانش كثير، وعمُرش قصير، وقهوتش تجُور، للكلّ شيبه او عجوز؛ شِلّي قُوشوشِش، لا عند عجوزش

وعُورى عيونها، وكثرة دُنونها، مالِش والتُجّار، واهل المناز الكبار، تطّلبونى، وتواعدونى، وان صدقتم عاهدونى، بعهد وثيق. فانهم لما ساروا الى الصّين، ودخلوا ارض الشّين، خاطبوا شيخى الكبير، وأحضروا على ذلك الوزير. بانّ اخرج حضرموت، واجلس فى خير البيوت، والقهوه تميل، مع الجَفَل والزّنجبيل، هذا ما تضمّنه خطّى. وقام شَرْطى، إقرأه يا قارى، على الحاضرين، اهل الفضل والتمكين، والصّدق والحقّ هو يَبين، والله يُنقّى الصّادقين!»

فقام القارى وتمثّل فى المنشور، وتأمّل فى المسطور، وقال: «اسمعوا يا الحضور، هذا ما قامت به الشّروط، وكتبت عليه الشّهود فى الخطوط، بالرّضا والاختيار، من غير الإكراه ولا إجبار، على أنّ الشّاهى يخرج من جَاوَه الى حضرموت، ويجلس فى اعزّ البيوت، وتكون المنازل بهيّه، على فُرُش رُوميّه، وتَبْتَنِى له بناقل، ومنازل فوق المنازل، تكون مزخرفه، ومُهَنْدَسه، ومُنظّفه، يُهندِسها المهندسين، باجناس النّوره والطّين، ثم يجعلون فيها من الزّجاج ما هو ثمين، وتكون لها ابواب، واخشاب، من صناعة الهند، تحنّ، وترنّ، ولها سُرادقات، عليها كاشات ملوّنات، مثابه بعضها البعض، تشرق على الجهات الأربع، فيكون المنزل مربّع، وفى كلّ روشان، يضئ كَزْهَبان، مربّع بالجوادر، ومرصّع بالسّنائر، وتكون له مَايده، على قانون وقاعده، مايده دسيمه، وقاعده حشيمه، ولها صانات غريبه، ومَطاعِم عجيبه، اكثرها الحوامض، والكباش

الروابض، تجنّس منها الحُمْره والصُفره، وتتحمّس منها المَعْشَره، بتنوّعات أوانيها وتقلّبات معانيها، واذا صُفّت الصحان، وتنوّعت بالراسي، والبلاشان، مايده متروسه، وصانه منحوسه، صاح صيّاح على الجلوس، ودقّ لهم الناقوس؛ «هَلُموا وأقبِلوا وتقرّبوا وأوصلوا واطلفوا جلودكم، لتوسيع بطونكم، فانتشروا نَشْرا واحدا.» وقام من كان قاعدا، وبشرط أن لا يحضُر هذه المايده، ولايجلس على هذه القاعده، كلّ جايْع ومسكين، من اهل الفضل والتمكين، مقطوع كلّ عريف منها، وممنوع كلّ جُوَيْع عنها، من معه مِثْلَها، يقدُم قبلها، بطبنه يحشيها، ونفسه يُرضيها؛ وبعد هذا، وعلى ذا، يجلس الشّاهي وعِدّته، وبركن مَنْصَبْه، وَمَفْوَته، ومن الشروط المُعَقّده، التي في هذه المُسَوّده، أن لا تحضُر القهوه عنده، بل يكون الشاهي وحدُه. هذا ما قامت به الحدود، وانتشرت به النقود، في بَلَد الصّين، وارض الشّين، على يد شيخ الشّاهي سِينْسُوَيْه، وحضر على ذلك ونهيره شِين كُوَيه، هذا ما تقرّر وسده بحضور من حضر.»

نائب القهوه: ثمّ قام الاصفر وقال: «الآن، ظهر الحقّ والبيان، وبان المحض من الشّنين، والغثّ من السّمين، وحجّة الشّاهي وخَطّه، وما ظهر في مرسوم شرطه، يدلّ على أنّه اختلس عقله، واعتدى بقوله، والرّجوع الى الحقّ حق، والله ينقّي من صدق، اقبضوا يدَيْه، قبض المجنون، وأرصدوا عليه رَصْد العيون؛ أمّا شِفّا في وشِطّافي، فانّ الثّوب الضّافي، وجميع من في الكون امنيافي، شافي

شان إكرام، وفضلي مبذول للخاص والعام، يتلألأ الكون من مفاتيح عُطْلِي، وعُرف نَشْرِي. انا البنّ الجلي، كرامة الشيخ علي بن عمر الشاذلي، انا لكلّ ولىّ وليّه، وصفىّ وصفيّه، انا صفوة المجالس، ونُزهة المدارس، انا سمير الصالحين، وانيس العابدين، ركنى قوىّ، وقولى جلىّ، ولونى صفىّ، ومجلسى هنىّ، اذا ذُقّ بالمعاز، لا يحضر مجلسى هَمَّاز، ولا غمّاز. ثمّ رنّ وحَنّ الشخص الجميل، فى صناعة الزّنجبيل، والحبّ الجليل، من الخِيّل الخليل، وحنّ الفور بحنين عاشق، وكلام ناطق، ونشر فايق، لا بوّاب على بابى، ولا مانع لاصحابى. ثمّ اندرج سرّى المعقود، فى المجلس المعهود، ونادى المُنادى، بعد ما حَدَى الحادى، وقال: «بنّ يا حضر، او قهوه يا شيخ!» فيقول الصَّدْر، من له الاحترام والقَدْر، والمترله والفَخْر، الفاتحه لصاحب القهوه الهنيه، والساده الشاذليه، والمشايخ الصوفيه، والاشراف العَلَويّه، ومن شربها بنيّه، إنّ الله يصلح القصد والنيّه، ويصفّى السّرير والطويّه، ويقضى الحاجات الدّينيّه والدّنيويّه، وعلى نيّة طالبها، ومَقْصَد شاربها، بعد عِدّة مشايخها، بترتيب قواعدها؛ ثم يقول: «الى حضرة النبى محمد صلّى الله عليه وسلّم.» فهى فاتحه جليّه، صفيّه، شاذليّه. ما لك يا شاهى، تصنع لشيخك فاتحه، على سبيل المناصحه. وَاذْكُرْ فيها سِنْسُوَيْه، وشين كُوَيه، ليكون ذِكرك باقى، عند المُسَقّى والساقى. وبها تفتخر، وتكون على سر، ما قولك ياشاهى، لو أقبلت واقتلّيت بمقلاتى، واحتليت بحلاتى، وانّصفت بصفاتى، ودخلت

مِضباق، ما تَنْحنك للحاضرين، وما رَوايِحك للنّاشقين، الآ روايح قِرْدان، وتقايح قِعْدان، واصبح بُخاريك، يتأسّف على ما فيك، مُدَّ النظر، يا احمر ترانى فى الجهات الاربع، أينما وجّهت أمامك بُنّى، وبَهْجه جمالى وحُسْنى.»

سؤال عن عشر خِصال، يسأل البنّ الاصفر، ويخبر الشّاهى الاحمر، عن عشر سائِل، إن أقرّ بها الشّاهى للبنّ غَلَبه

فقال البنّ: «إسْأل عن عشر خِصال، إن أقرَرْت لى بها يا شاهى غُلِبتَ، ورجَعتَ خائِبا مع الخائبين، وإن انكَرْتَ منها كذبْتَ، ولعنة الله على الكاذبين.»

فقال الشّاهى: «إسأل يا بنّ.»

قال البنّ: «من يحضُر مِنّا فى المساجد، والمعابد، والحَضَرات البهيّه، اذا دُقّ طارها، وغَشِى الجمع اسرارها، انا ام انت يا شاهى؟»

قال: «بل انت.»

قال: «خذها أوّلا!»

ثمّ قال: «من فى دروس العلم اذا احتلقوا اهل العلوم، عند موارد اهل العقول والفهوم، انا ام انت يا شاهى؟»

قال: «بل انت.»

قال: «خذها ثانيا!»

ثمّ قال البنّ: «من يحضُر فى عُزْلة التّفسير، ومقام التّعبير، فى المكان النّوير، ومن فى المولد الشّريف، والمقام المُنيف، حيثُ ما سُنّت الأقدام فى ذلك المقام، إذا قالوا:

«أشرق البَدْر علينا مشاهدين حضرة خير المُرْسَلين»

انا ام انت يا شاهى ؟»

قال : «بل انت.»

قال خذها ثالثا !»

ثم قال : « يكون صَبوح الباكر ، قبل إشراق الصُّبح السافر ، لكلّ انسان ، انا ام انت يا شاهى ؟»

قال : «بل انت .»

قال : « خذ ها رابعا !»

ثم قال : « من للصُوَّام ، القُوَّام ، يتهيَّأُ لفُطورهم ، ويغتنم حِفْظ سرورهم ونورهم ، انا ام انت يا شاهى ؟»

قال : « بل انت .»

قال : «خذ ها خامسا !»

ثم قال : « من اذا قامت الولايم ، وصُفَّت العمايم ، فى المواليد العظيمه ، والولايم الحشيمه ، والمجالس الكريمه انا ام انت يا شاهى ؟»

قال : «بل انت .»

قال : «خذ ها سادسا !»

ثم قال : «من يباشِر المُدَّاف ، ويقدّم بالاضياف ، وينوِّر المنازل ، وبهجة المحافل ، انا ام انت يا شاهى ؟»

قال : «انت»

قال : «خذ ها سابعا !»

ثم قال : « من فى الخِلّيان ، وحَليف البذوان ، فى الجيلان ، وأنيس

الخِلاّن ، ومن للمساكين، شريكهم فى الماء والطّين ، انا ام انت يا شاهى؟»
قال: «بل انت !»
قال: «خذها ثامنا !»
ثم قال: «من للقُوّام ، والنّاس نِيام ، الذّاكرين ، القائمين، مع النّسيم السّارى فى رضَا الكريم البارى ، انا أم انت يا شاهى ؟»
قال: «بل انت .»
قال: «خذها تاسعا !»
ثم قال : «من لهُ الكرامه ، ومن له التّقْدِمَه والإمامه ، عند نزول الامر المحتوم ، يكون اوّل تقدوم ، خفيف المَؤُنه ، وللميّت واهله مَعُونه انا ام انت يا شاهى ؟»
قال: «انت»
قال : «خذها عاشرا ! »
ثم قال : «فقد فوّضت لى بالأمر ، اذا أقْرَرْت لى بالعشر ، وهى العشر الجواهر العظيمه التى ما تُقوّم بقيمته ؛ امّا بعد هذا ، ما لك يا شاهى ، من جميع الملاهى ؛ اصمت ! لِفِيك التّراب ولأبيك الوَيْل والعَذاب ، نسبتى مكينه ، ووَزْنتى رزينه .»
نايب الشاهى : ثمّ قام الاحمر يتبختر ، وقال : « أنّهُ وعشرك ، وبنك وقشرك ، يا أقبح اللّون ، أخْرُجْ لمساجدك ، ومعابدك ، واقبض وظايف المَوْتى ، ومن تراه خالى عن الدّنيا وانت وشانك وانا وشانى ! »
فاهتزّ عند ذلك الاصفر ، وهو مُصْفَرّ الوجه بتِمْثاله ، وقام

الاحمر بسيفه، وعَصَاته، وتصارعا ساعه، وكان كلّ منهما يبطش صاحبه بحَضْرة الجماعه، وصاحا بملاء صوتهما، فاهتزّ كلّ مَنْزِل، وكلّ باب صار يِزْقِلْ.

فقلت: «ما لكما فى هذه الحاله وكلّ منكما معروف جماله؟»

فالتفت الىّ الاحمر وقالى: ما سمعت الاصفر، ومقاله وكلامه ويشتُمْنى وأنت أمامه، والله لولا الحَشَمَه للحضور، لجعلت حَقْبَه هَبَاءًا منثور، ودمُه سيّال يفور، ولا بعد ذالك كُفْدَه تفور، ولا فِيجان مِنْه يدور!»

فقال الاصفر: «لولا الحشمه، ومقام الكَلِمَه، لشرّقت سماورك والبخارى، مثل تشريق المَصَارِى؛ صِحْ بقومك وانا بَاصيح بقومى، ونجعل لنا يوم معلوم، وحدّ مفهوم!»

ثم إنّى لم أَزَلْ ألاطفهم، بتسديد كلمة الشّيخ بينهم، فالتفتا الىّ وقالا: «احكُمْ بيننا، ولا تُصْغِى لاحد منّا.» فقلت لهما: «إن فوّضتما الامر الىّ، وثقّلتما ما علىّ، فهذه صورة الاستماع، لقَطْع النّاجُر والنِّزاع.»

فقالا: «اكتُبْ ما شئت!»

فكتب القاضى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله السّميع العليم، الجواد الكريم، وأفضل الصّلاة وأزكى التّسليم، على الرّسول العظيم، سيّدنا محمد ذى القَدْر

الفخيم، وعلى آلهُ وصَحْبُه، والفخر العميم، ما آنْهَلّ وَدَق وما هَبَّت نسيم، أما بعد: فقد حصل التّحكيم، من البنّ الاصفر، والشّاهي الاحمر، للحاكم العَدِل، في المَزِل والجزِل بعد التّشاجر والنّزاع، والمجاوره والاجتماع، قاطع حُكمه، نافذ امره، حكّموه، وولّوه، تحكيم شامل، كامل، قاطع فاصل، ليس لأحدٍ تحيص منه، ولا تحريف عنه، ولذالك قامت العهود والمواثيق، والله الهادى لأقْوَم طريق.

فقلت لهما: «ما سمعتم ما رَقَمُه القاضى، وكلّ منكم فرحان وراضى؟» قالوا: «سمعنا، وعلى ذلك وبه أقْرَرْنا، ونكتُبُ بذَيل المرسوم، ونتوكّل على الحيّ القيوم:

هذا ما تقرّر وصدر، بحضرة من حضر، بعد إمعان النّظر، بالسّمع والبصر، بين الاصفر والاحمر.»

فقلت: «القهوه سرّيه، بُنّيه، مركّبه على مَلاح النّيه، سلفيه، شاذليه، لا مانع لها، ولا حاجب عنها، ولا احد مخصوصه، ولا بمكان ولا بَلَد منصوصه، لا يُعارضها عارض، ولا يقرُضها قارض، ولا ينقص فضلها وشرَفَها ناقض، دُخان بنّها، وصَفُو دَنّها، يشرَح الفواد، ويُزيل من الارض الفساد، نافيها نافي علم، وقاطعها قاطع رَحِم.

والشّاهي باهي، من الفواكه الغريبه، والشّيئون العجيبه، مخصوص للتّنزّه والانشراح، وقت الاعياد والافراح، يفسح به البدن، ويصفو له الكاس والدّن، يصفا لشاربه، ويدور مع صاحبه، مخصوص القوم دون قوم في مكان معلوم.

ومن هذا القبيل، لكلّ منها مَنْزِل نزيل، وكلّ بنفسه سلطان جنسه.

الحكم: البنّ الاصفر سلطان المشارب، وبَغْيَة المطالب، في المشارق والمغارب،

الحكم: الاحمر الامير النّايب. وكلّن له مقام مسدود، وحدّ محدود،

عند اهل الكَرَم والجُود: البنّ فرض لازم، عند اهل الفضل والمكارم؛ والشّاهي عادة جليّه، في المجالس البهيّه؛ والمشروب عند شاربه، وكلّن يقوم عند حدّه وواجبه، والاذواق في المشارب، تتنوّع فيها العجايب. هذا ما تقرّر، وتسطّر، والله الهادي والدّليل، وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم.»

تمّت المحاورة بين الشّاهي والقهوة

قراءات مختلفة وملحوظات

(١) ولعلّ الأصحّ «النِّعَم» ولكنه نُطق بفتح النون. (٢) يعني «جاء في ن». (٣) يعني «بِلِغْتُ ه». (٤) يعني «بهاني وصفا في». (٥) وكُتب «حلّة» (٦) هكذا في النسخه. والأصحّ، لا شكّ، «قشوشش» (٧) يعني «قال لي». (٨) الحشمة بمعنى «جشمة».

٧

قصيدة في ملقاة التخم

مابين يافع وآل كثير

لعمر بن محمد باعطوه

يَا اللهْ يَارَبَّاهْ يَاجَزِلَ الْعَطَى ... يَا رَافِعَ السَّبْعِ السَّمَاءْ وَنُجُومَهَا

ثُمْ قَالْ باعطوهْ تِزَعَّلْ مَزْقَدِى ... تَنَسَّمِى يَانَفْسِىَ الْمَهْمُومَهْ

كُلِّ تَنَسَّمْ يَوْم جَا بُوغَالِبْ ... مَوْلاَ الْبِحَارَهْ وَالتِّلُدْ وَالنُّوبَهْ

حَيَّا جَمَعْدَارَ الصَّلِيبَ الْجَيِّدْ ... لِي لَهْ مِنَ الْخَيْلَ الْجِوَادْ زَكُوبَهْ

وَلَهْ يُسَلِّمْ الْحُضُوزْ بِعَسْكَرْ ... مِثْلَ الْبَهَامِى لاَ انْقَطَبْ ثَعْبُوبَهْ

وَلَهْ مِنَ الْسَّلْبَهْ قَرَنْجِى غَالِى ... وَبَنْطْ لَهْ وَاسَامْ لَهْ مَقْلُوبَهْ

يِهِزْ عَلَى سَمْعُون يَا بُوغَالِبْ ... بِقُوَامْ يَافِعْ يَخْرُبُونْ غُلُوبَهْ

اغْنِى عَوَضْ لِى مَا يُوَطِّى رَاسَهْ ... يَانِمْدِ لِى لَمْتَخْ عَرَبْ خَنْتُوبَهْ

وَالْغَيْثْ لِى صَامِدْ بُوَنْشْ غَشِيَّهْ ... بَعْدَ الْعُصَيِّرْ الْمُزْنْ حَظْ اشْبُوبَهْ

رَوَّحْ حِنَيْنِى بَيْنَنَا وِاتِيَاهُمْ ... بَاتَتْ تَقَرْقِرْ بِدِمَاهْ شَعُوبَهْ

سَرْحَتْ دَحَامِيلْ الزِّيَالْ عَلَيْنَا ... لِي رُوسُهُمْ حِلْ الْبَلاَهْ مَجْلُوبَهْ

خَذْ نَا مِئَهْ مِنْ قَوْمِ بِنْ عَبْدَ ٱللَّهْ مَاحَدْ فَسِلْ مَكْهَلْ كَلَامَ ٱلْغُوبَهْ
خَذْ نَاهْ لِي قَدْخَانْ فِي عَهْدَ ٱللَّهْ يِرُوحْ مِثْلِ ٱلصَّيْدَهْ ٱلْمَضْرُوبَهْ
أَكْبَرْ عَلَى مَنْ لَا يَرُدَّهْ وِجْهَهْ خَذْ نَاشْ بِالْوَقِيَّهْ ٱلْمَضْرُوبَهْ
حَظَّ ٱلرِّجَالْ فَوْقَ ٱلرِّجَالْ وَزِمْهِلْ بِتِسْعَهْ أَلْفَ أَشْوَارُهُمْ مَضْمُومَهْ
لَنَا ٱلْجَبَلْ إِنْبَاكْ تَسِيرْ تَنْكِفْ فِي ٱلْمَخِيَّهْ بَانِفَعْ ٱلْقَطْرُوبَهْ
سُلْطَانَهَا يَخْرُجْ بِقَوْمْ غَلِيظْ لِي يِنْكَرُونْ ٱلْخِيَّهْ ٱلْمَنْسُوبَهْ
وَخَذْ سُعَيْدِيَّهْ نَهَازْ أَنْوَاهَا وَخَرَّجُوا حِلَّانَهَا مَحْتُومَهْ
وَخَذْ شِبَامْ أَنْدَزْلَهَا مُتَعَنِّي وَٱنْسَتْ مَصَايِغْ بِٱلذَّبْ مَعْقُومَهْ
وَٱلْعَوْشْ يَخْلُفْ وَٱلْجَنِيبْ وَنَحْنَا نَزَّحْ سَوَا بِٱلْقُضْمَهْ ٱلْمَنْدُوبَهْ
وَٱلْحَذَرْ مِنْ لِبْسَ ٱلْحَرِيرْ ٱلْغَالِي ٱلْكِبَرْ قَدْ نَقَّفْ دِمَنْ مَحْجُوبَهْ
وَٱلْخَتْمْ صَلَّى ٱللَّهْ عَلَى بِٱلْقَاسِمْ

قراءات مختلفة وملحوظات

١ (١) الصحيح عند الشيخ عبدالله أحمد الناخبي :
«فرج على عبدك جميع كروبه»
وأشار الزوعي إلى وجود غلط في هذا المصاع.

١٦ (٢) كتب عبدالله الناخبي «المَحَبَّه» ولعل هذا أصح لأن الجبيم عند سكان وادي الأحقاف تُنطق ياءً.

وهذه القصيدة لسعيد عبد الحق

بَنِي مِغْرَاء حُوِّلْ وَلَوْ خَاطِرُكْ مَحْنُونْ
وَلَا تَيْأَسْ مِنَ الرِّزْقِ لَأَنَّ الرِّزْقَ مَسْهُونْ
وَقُلْ يَا مَالِكَ الْمُلْكِ تِسِمْ كُلِّ مَغْبُونْ
تَرَانَا مِنْ رُبُوعِي كَذَا خَاطِرِي مَشْجُونْ
حَيَانَا الْبُعْدُ لَا أَعْلَمْ وَلَا أَدْرِي كَيْفَ يِلْقُونْ
وَشَغْبِي بِالْقَنَامَهْ وَدَمِّي جَرَّحَ النُّونْ
ضَوَا طَارِشْ مِنَ الْحَدْرِ لَمَّا شِعْبْ دَمُّونْ
وَقَالِ اخْوَتُكْ قَنْصُوا فِي الْبَلْدَهْ يِزَفُّونْ
خَذُوا وِغْلَيْنْ ثَبْتَ الْغَرَضْ مَا فِيهِنَّ الدُّونْ
وَوَاحِدْ مِنْهِنْ كَأَنَّ دِيمُهْ ثَوْبْ مَصْبُونْ
كِرَاعُهْ يَا فَتَى رَطْلْ فِي الْمِيزَانْ مَوْزُونْ
وَلَا صَفَّا خَبَرْهِنْ ، خَذُوهِنْ لِي يِحِيلُونْ
مِنَ الرُّمْيَانْ أَوْ عِنْدْ غُلَمَهْ لِي يَثُورُونْ
خُبَرْ ثَانِي وَقَالَ الشِّيَابَهْ عِنْدَ عَبْدُونْ
تَحَمَّلْ بُو مُبَارَكْ خَذَا لَهْ وَشُرْ مَشْمُونْ
قَطِيفَ الْبُهْمْ زَيْنَ الْخِلَقْ وَالْقُطْبْ مَخْجُونْ
سَقَا اللَّهْ بِالْخِشْشْ لِي بِهْ الشِّيبَانْ يَزْبُونْ

وَحَمْدُهُ مَعْدَنَ ٱلْجَوَادِ فِيهِ ٱلْكَنْزُ مَدْفُونْ

وَبَعْدَ ٱلسَّاعِ قُرْ شِلْ حَرْفَ ٱلْكَافِ وَٱلنُّونْ
بِهِ ٱقْصُدْ لَاقَسَمْ بِلِغْهُ أَوْلَادَ عَبْدُونْ
وَقُلْ جَانَا خَبَرْكُمْ ، خُزِيَ بِهِ كُلَّ مَلْعُونْ
هَنِيئًا بِٱلْجَمِيلَهْ وَعَادَ ٱلْخَيْرُ مَنْهُونْ
وَتَوْكَ لِلْعِجِزْ لَانِفِعْ عَاجِزْ وَمَغْبُونْ
وَتِلْقَا لِي مُحَمَّدْ عَسَا لَازَالْ مَضْيُونْ
وَٱنَا يَا رَيْتَنَا ٱسْرِي مَعَاكُمْ لِي تَسِيرُونْ
وَبَا ٱحْضُرْكُمْ إِذَا قَدْ غَشَّيْتُوا رُوسْ شَجْعُونْ
وَٱنَا قُدَّامَكُمْ بِٱلْحِذِي مِنْ حَالْ تِسْرُونْ
وَعَبْدَ ٱلْحَقّ مِنْ زَفُّكُمْ يَا ٱصْحَابْ مَغْبُونْ

وَنَخْتِمْ بِٱلنَّبِي عَدَّ مَا ٱلْإِسْلَامْ يِقْرُونْ

---

(٥) جاء في كتاب الوقايع : « جانا السعد لا اعلم ولا ادري ايش يلقون ».

(١٣) نقل رحيم « غنمهم » بدل « غلمه » .

(١٧) جاء في كتاب الوقايع « بالحش » . ونقل رحيم « الشجعان » بدل الشيبان .

(١٨) نقل رحيم « سفلي واد » بدل « معدن اجواد » .

قصيدة للشيخ عبد الحق الحضرمي

١ بَنِي مِغْرَاءَ يَا مَبْرَكَ الْجُمْعَهْ وَلِشَتَّيْنْ ... لَهُنْ تَشْرِيفْ زَايِدْ لَيَالِيهِنْ يَسِرْنِيْنْ
يِجَلِّيْنْ الْكَدَرْ وَالْفَلَسْ مِنْ يَوْمْ يِضَوِّيْنْ ... كَلَامِي صِدْقْ بَا أَحْلِفْ لِمَنْ يُنْكِرْ يَمِيْنَيْنْ
عَلَى الْكَعْبَهْ وَسُورَهْ عَبَسْ بَا أَحْلِفْ وَيَاسِيْنْ ... بِهِنْ وَالذِّكْرِ لِلَّهْ يِصِدِّيْنْ الشَّيَاطِيْنْ
وَحِجِّ الْبَيْتْ وَالْمُصْطَفَى حِدْ الشَّرِيفَيْنْ ... سُمِّي مِنْ قَبْلْ يُخْلَقْ مُحَمَّدْ قُرَّةَ الْعَيْنْ
٥ سُعِدْنَا بِهْ بِجَاهُهْ قَضَيْنَا الْأَمْرْ وَالدَّيْنْ ... أَلَا يَا اللَّهْ يَارَبْ تِرْحَمْ كُلْ مِسْكِيْنْ
بِرَحْمَهْ وَاسِعَهْ كُلْ وَادِي جَابْ سَيْلَيْنْ ... وَيَحْيَا وَادِي الْعَيْنْ وَأَغْصَانَهْ يِطَلِّيْنْ
ذُبُورُهْ لِلْغَرَبْ وَالْجَلْ لِلصَّيْدْ يِزْعَيْنْ ... أَنَا عَقْلِي بِهِنْ يَوْمْ يِكْسِرْنَهْ بِشَبَّيْنْ
كَلَمْحَهْ بَرْقْ مَا أَقُولْ فِي الْمِشْبَا بِكَتَّيْنْ ... إِلَى اللَّهْ زَادْ بِالْيُسْرْ وَسْطْ الشِّعْبْ خَطَّيْنْ
بِلْمَتَا بِذْرِجْ الشَّانْ لِلْمَنْصَبْ وَيَاتَيْنْ ... وَفِي الْوَسْطَارْ كَتِّينْ شَبَكْ بِقْنَامْ بِالْفَيْنْ
١٠ مُغَزِّرْ زَيْنْ لِنْيَاحْ فِي غَدْلَهْ تَعَكَّيْنْ ... وَلِي قَدْ ضِيعْنِ سَرْمَدْ لَهْ الرَّحْمَنْ عَنَّيْنْ
وَنِعْمَكْ نَسْلْ قَطْمِيرْ يِتْبَعْهِنْ وَيِضَوِّيْنْ ... وَوَرَّدْهِنْ إِلَى الدُّرْ وَأَغْيَانَهْ يِهِلِّيْنْ
فَقُلْنَا الْحَمْدْ لِلَّهْ بَعْدْ الْعُسْرْ يِسْرَيْنْ ... وَبَعْدْ السَّاعْ يَا فَايِقْ الْغُرْ لَانْ يَا زَيْنْ
أَنَا مُسْلِمْ لَكْ الْيَدْ وَلَا تُظْهِرْ لِي الشَّيْنْ ... وَخُذْ مِنِّي وَبَا عْطِيكْ مَا تَطْلُبْهْ ذِي الْحِيْنْ
مَقَامْ الرِّجْلْ خُذْ فِي الْمِنَّهْ يَا خِلْ مِشَّيْنْ ... وَأَنَا مِنْ حَبَّنَا شِبْرْ حَبَّيْتَهْ ذِرَاعَيْنْ
١٥ مَحَبَّهْ قَلْبْ يَارَبْ أَلِّفْ بَيْنَنَا الْبَيْنْ ... وَنَمْسِي فِي وَسْطْ غُلْبْ أَنَا وَأَيَّاهْ قَضَرَيْنْ
وَقِلْبْ جَعْدَهْ الْمُرْتَسِلْ وَأَحْرَازْ تِبَيْنْ ... وَعَجْزَهْ مِثْلْ مَرْكَبْ عُمَانِي فِيهْ دَقْلَيْنْ

وَلَجِبَّ ٱلْبَحْرِ يَوْمَ ٱلْمَرَاكِبِ فِيهِ بِضَرْبَيْنِ تَخَيَّرْتُ آنَاً فِي ٱلسَّنَةْ آخُذُهُ طَوْفَيْنِ

١٨ سَلَامُ ٱللهِ عَلَى مَنْ رَمَى قَلْبِي بِسَهْمَيْنِ وَصَلَّى ٱللهُ عَلَى مُصْطَفَى جِدِّ ٱلشَّرِيفَيْنِ

قراءات مختلفة وملحوظات

٧ (٢) نقل رحيم : « بِشَيْنِ » .

٨ (٢) نقل رحيم : « إلى الله زاد نظفر بهن فى الشعب عَذَيْن » .

١٠ (١) جاء فى كتاب الوقائع « منزّل زين لمياء » .

١١ (١) بدل « شمك » جاء فى كتاب الوقايع « عوادى » .

١١ (٢) جاء فى كتاب الوقائع « يرذينه » بدل « ووزدهن » .

١٣ (٢) نقل رحيم « ذَا » بدل « ذى » .

١٥ (٢) جاء فى آخر البيت عند كتاب الوقائع « لى قد فيه قصرين » .

١٦ (١) جاء فى كتاب الوقائع « جسدك » .

١٧ (٢) جاء فى كتاب الوقائع فقط .

١٨ (٢) جاء فى كتاب الوقائع فقط .

هذه القصيدة منسوبة لعبد الحق

١ بَنِي مَنْزِلاء غَنَّا لَكُمْ رَجَّاش جِجْـلَهْ صَغِيرَ ٱلسِّنِّ حَازَ ٱلرَّوْشْ وَٱلزَّيْنِ كُلَّهْ
غَبِي مَا يَعْرِفْ ٱلنَّاس، بُهْ هَيْبَهْ مِنْ أَهْلَهْ عَسَى يِسْعِفْ وَيِطْرَفْ وَلَوْ أَشُوفُهْ بِغَفْلَهْ
تَرَانَا قَيِّم بِٱلْبَاب يَا بَوَّاب قُلْ لَهْ تَرَانَا مِتْنَهْ فِي ذَا ٱللَّيَالِي بَاتْ لَهْلَهْ
وَقَلْبِي مُشْتَغِبْ مُمْتَحِنْ مِنْ بَعْدْ خِلَّهْ رَهِيفِ ٱلْقَدْ جَعْدَهْ هَيَجْ لَاكَبْ رِجْلَهْ
٥ مُعَنَّا فَوْق ٱلإِمْتَانْ مُقْلَهْ بَعْدْ مُقْلَهْ وِيِنْفَحْ بِٱلْخُمَرْ لِي غَرَفْ مِنْ كُلّ عَذْلَهْ
وَشَكْ لَحْزَازْ تِبَّيْنْ مِنْ سُلْطَانْ حَمْلَهْ وَتُنْظُرْ فِي جَبِينُهْ رُسُومَ ٱلْعِشْقْ كُلَّهْ
وَلَاحْ ٱلْبَدْرْ فِي جَبْهَتُهْ، يَا مَوْتْ خَلَّهْ وَبَعْدَ ٱلسَّاعْ شَهَرْ ٱلصَّفَا بَا يِسْتَهِلَّهْ
دَخَلْ حِلَّهْ وَصَلْ لِلْجَبَلْ وَٱلْيَوْمْ رِجْلَهْ نُزَهِّي لَهْ بِكَمْ مِنْ شَبَكْ صَافِي نَشِلَّهْ
مُنَزَّلْ زَيْنْ لَمْيَاحْ لِي مَكْتُوبْ غَذْلَهْ زَهِي بِٱلْقُطُبْ وَٱلطُّوعْ لِي مَا أَقُولْ مِثْلَهْ
١٠ وَلَوْمَا ٱلْقُطُبْ مَاحَدْ صَنَعْ بُنْدُقْ وَنَصْلَهْ وَلَوْمَا ٱلطُّوعْ مَاحَدْ عَزَزْ فِي ٱلْأَرْضْ نَخْلَهْ
وَلَوْمَا ٱلصَّيْدْ فِي ٱلشِّعْبْ مَاحَدْ قَدْ طَلَعْ لَهْ وَلَوْ بِٱلْوِعْلْ لَخْمَرْ خَذَتْ بِٱلنَّاسْ فَشْلَهْ
وَلَوْمَا شِي قَنَاصَهْ تُصِيبْ ٱلْخَلْقْ خَذْلَهْ وَلَوْمَا ٱلصَّيْدْ مَاشِي طُرُقْ لِلنَّاسْ سَهْلَهْ
وَأَنَا لَوْ خَيَّرُونَا ثَلَاثِينْ أَلِفْ مَـلَّهْ حَمَارِي صِرْفْ مَا خَلْطَهِنْ صَفْرَا وَبَقْلَهْ
تَخَيَّرْتُ ٱلشَّبَكْ قِلِّبْ أَمْيَاحُهْ وَعَذْلَهْ وَصَايِخْ شِعْبْ نَبْتُهْ طَرِي يِرْعَشْ بِطَلَّهْ
١٥ وَلَا لِي غَيْرْ مَوْلَايَ، يُنْعِمْنَا بِفَضْلَهْ يِسَهِّلْ رِزْقَنَا رَبَّنَا مِنْ غَيْرْ شُغْلَهْ
مَعَاجَاوِيدْ خِفَّانْ مَا فِيهُمْ مَذَلَّهْ رِجَالْ ٱلنَّصْرْ طَفَرُوا بِكَيْنْ وِعِلْ نَزْلَهْ

لُحُومُهُ فِي ٱلْوَضَمْ وَٱلْعُولْ فِي خَيْرِ وَشْلَهْ فِي ٱلْمِجَابْ وَٱلْبَدُو فِي بَرْعَهْ وَسَجْلَهْ
عَلَى مَدْرُوفْ زَيْنْ ٱلْخِدْرْ لِي فِيهِ صَلَّهْ سَمَرْ فِي ٱلْغَارْ يَا أَهْلْ ٱلتَّمَرْ كُلِّ نَخْلَهْ

أَلَا يَا رَبَّنَا يَا عَظِيمَ ٱلشَّانْ كُلَّهْ وَيَا سَامِعْ دُعَانَا وَغَافِرْ كُلِّ زَلَّهْ

٢٠ وَصَلَّى ٱللهْ عَلَى ٱلْمُصْطَفَى وَٱلْعَصْبْ جُمْلَهْ مَعَ ٱلْأَتْبَاعْ وَٱلْآلْ ثُمَّ مَنْ يَتْبَعْ لَهْ
٢١ صَلَاةَ ٱللهْ تَنْشَاهْ مَا مَطَرَتْ بِحَمْلَهْ وَمَا سَالَتْ مَسَايِيلْ وَٱسْقَتْ كُلِّ نَخْلَهْ

قراءات مختلفة وملحوظات

٩ (١١) جاء في كتاب الوقائع « من غرف عدله » وعند رحيم جاء « غدله »

٩ (١) جاء في كتاب الوقائع « مكتوب ».

١٣ (٢) جاء في كتاب الوقائع :

« جهازي صرف ماخلطهن صفرا وبقله ».

نقل رحيم « بجله » موضع « بقله » وقد صححته .

١٥ (١) جاء في كتاب الوقائع « يرحنا » بدل « ينعمنا ».

١٧ (١) « الوضم » مكتوب « الوظم » في كتاب الوقائع.

(٢) جاء في كتاب الوقائع « في المجحاف » ولكن رحيم يقول الواضح أنه غلط .

وهذه القصيدة للسيد حسن بن عبدالله بن عبدالرحمن الكاف

بَنِي مِغْرَاءَ قَلْبِي فِي ٱلْعَشِقَهْ مُعَذَّبْ
وَكَبِدِي مَحْرَقَهْ وَسَطَهَا نِيرَان تَلْهَبْ
وَدَمْعِي دَمْ فَوْقَ ٱلْوَجَنْ وَلَلْخَدّ قَدْ صَبْ
وَرَاسِي بَعْد مَا بِلَغَ ٱلْعِشْرِين شَيَّبْ
وَجِسْمِي مِثْل خَيْطَ ٱلْوِتَرْ وَٱلصَّنُوت شَخَّبْ
جَفَا نَوْمِي عُيُونِي، زِعِلْ مِنْهَا، وَجَنَّبْ
كَمَا ٱلْمَلْدُوغ آبَيْتْ عَلَى فُرْشِي ٱنْقَلَّبْ
سَمِيرَ ٱلشُّهْبْ لِي غَاب كَوْكَبْ بَان كَوْكَبْ
بُلِيتَهْ فِي ٱلْمَحَبَّهْ، يُعِينَ ٱللهْ مَنْ حَبْ
شَبِيهَ ٱلْبَدْر وَجْهُهْ أَرَى لِلْحُسْنْ يُنْسَبْ
وَجَنْدَهْ لَيْل دَايِجِي عَلَى ٱمْتَانُهْ مُكَثَّبْ
بِمَاءَ ٱلْوَرْد يَغْذِيهِ وَٱلْعُودَ ٱلْمُطَيَّبْ
وَطَرْفُهْ سِحْرِهَارُوت فِي قَتْلِي تَسَبَّبْ
بِأَرْوَاحِ ٱلْمُحِبِّين وَٱلْعُشَّاق يَنْهَبْ
وَخُشْمُهْ سَيْف قَطَّاع حَدُّهْ يِلْقُطْ ٱلْحَبْ
وَرِيقَتُهْ مِنْ لَذِيذَ ٱلْعَسَلْ أَحْلَا وَأَعْذَبْ

يفوح المسك من نكهته وإن قلته أطيب
حريري البدن ورد الخدين أشنب
نسيم الصبح لي مربه يبكي وينهب
لبيب الخضر ميرز أبو مقصين والبب
خفيف النار يا بخت من به قد تسلب
بطول الهجر قطع عراكيبي وعذب
فلا لي نوم يحلوا ولا مطعم ومشرب
حياتي حين يرضى، وموتي حين يغضب
نسيت أيامنا في الصبا نلهو ونلعب
طلب ماشيت ينهل علينا كل مطلب
ولو في الروح تطلب ومالي والمهذب
وباقي ما معي من كتب في كل مذهب
قسم بأحلف على كفك الضخم المخضب
بأنه قد تسهل لنا ما قد تصعب

وصلى الله على مصطفى طه المقرب

هذه الأبيات للحسين الشيخ بن عبدالله بن مصطفى العيدروس

يَامُطْرِبَهْ شِلِّي ٱلْمَغْنَا وَنَسْنِي بِهْ وَقُولِي دَانْ
وَشِلِّي ٱلصَّوْت يَاحِلْوَهْ وَخَلِّي ٱلشُّوش وَٱلْأَحْزَانْ
وَخَلِّي ٱلصَّوْت بِتْرَامِلْ وَرَوِّحِي قَلْبِيَ ٱلْوَلْهَانْ
فَٱلْعُود قَدْهَب وَٱلْبُلْبُلْ يِسْجَعْ بِصَوْتُهْ عَلَى لَغْصَانْ
وَٱلْجَوّ يَا مُطْرِبَهْ غَيِّمْ وَهَذْلَلْ ٱلطَّشّ مِنَ ٱلْأَمْزَانْ
وَإِنْ كَان عَذْبِ ٱللِّمَا غَنَّا زَالَتْ هُمُومِي مَعَا ٱلْأَشْجَانْ
مُرْتَفِعْ ٱلْقَامَهْ ٱلرَّغْنَا لِي كَان قَامَتُهْ غُصْنَ ٱلْبَانْ
وَجَعْدٍ يَغْذِيه بِٱلْيَزْهِي أَسْوَدْ حُبَيْشِي عَلَى لَمْتَانْ
وَجْهُهْ بَدَا بِٱلْبَهَا وَٱلنُّوز يَخْجِلْ بِحُسْنُهْ قَمَرْ شَعْبَانْ
وَٱلْخُشْم خَنْجَرْ رَهِيفْ ٱلْحَدْ وَٱلسِّحْر مَسْكَنُه فِي لَعْيَانْ
وَبِبَسْمُهْ بَرْق يِتْلَمَّعْ وَطَعْم رِيقُهْ عَسَلْ جِرْدَانْ
وَٱلْعُنُق رَصْعُه بِٱلْيَاقُوتْ ذَهَبْ وَلُؤْلُؤْ مَعَا مِرْجَانْ
وَٱلصَّدْر مِيدَان لِأَهْلِ ٱلْخَيْل كَعْبَيْن بِهْ تِشْبِهُ ٱلرُّمَّانْ
وَٱلْأَشْبِيَهْ ٱلْعِنَبْ وَٱلتِّين وَٱلْأَشْعَرْ جَلْ بِصَدْرُهْ دَانْ
يَارَيْتَنَا أَبْسُقْ مِنَ ٱشْجَارُهْ وَأَطُوف فِي دَاخِلِ ٱلْبُسْتَانْ
وَأَزْشِفْ مِنَ ٱلْمِبْسَمْ ٱلْحَالِي وَأَقْبِلْ ٱلْخَدْ وَٱلْأَوْجَانْ

وَأَطْفِي ٱللَّظَى لِي فِي وَسْطْ جَوْفِي مِنْ جَوْر عَشْقَتْك يَا فَتَّانْ
مِشْتَكْ رَوَحْ فِي وَسْطْ قَلْبِي وَشَبْ فِي بَاطِنِي نِيرَانْ
لَمَا مَشَى يَا ٱلْخَلِي هَجْرِي يَحْكِي كَفَا كَان مِنْ هُجْرَانْ
٣ يَاسُول قَلْبِي شَا نَسْمُرْ عَلَى حَرَّا أَهْلَ ٱلْيَمَنْ وَٱلشَّانْ
لَمْنِي عَلَى سَمْنُو فِي رَاحَهْ وَٱلْقَلْب يَاسَلْوَتِي قَرْحَانْ
٣٣ وَٱلْخَتْم سَلَّى عَلَى ٱلْهَادِي مَا نَاحَ قُمْرِي عَلَى لَغْصَانْ

قصيدة لخو علوي ويقال انه زين بن عبدالله الحداد

يقول خو علوي خيار الوطن ... وادي آبن راشد خير وادي
هو خير من صنعا وبندر عدن ... وقرية السلطان هادي
وخص ما بين القرى والدمن ... سنيئون ، والقنا ، بلادي
لا والتي لا مثلها لا تطعن ... لاغبتها طش الرهادي
فيها الغواني البيض حمش اليتين ... حمرى الخدق غاية مرادي
ياطير يا أحلا ما يصوته رهلن ... خذ لي سلام إن كنت غادي
إلى الذي فنه طما كل فن ... خو محسن البطل العوادي
خصه سلامي كلما رعد حن ... أو سار خلف الركب حادي
وقله أيام الصفا والرسن ... ترجع وتنقض كل وادي
إلى سرحنا بالشبك واسعفن ... نروي مراهيف الخدادي
لي قد دخلن الدقر والصوت حن ... وقام خو محسن ينادي
يقول جاك الصيد ياخو حسن ... ابشر بهن بين المرادي
ما عاشق الا له في الزين فن ... ويدحق اطراف السوادي
عاد ان تغيض ساجي واشتحن ... في عشق منقوش العضادي
عشقه قد آخرمنا حلال الوطن ... وأصبحت سارخ من بلادي

يا الله يا مكين ظهور الغيث ... نستغفر الله خير هادي
وأختم بطه كلما رعد حن ... خير الورى حاضر وبادي

وهذه الأبيات حق السناوه منسوبة الى الشيخ سعد السونبي

١ يارب يا غفار كل زلة ... اجعل لنا عند النبي محلة
يا الله بذرة من محبة الله ... أفنا بها عن كل ما سوا الله
٢ يا الله سامحنا وأعف عنا ... لذنا ببابك ، كلنا أتينا
٣ اغفر لنا جمع الذنوب وأوزار ... وأسكننا جنات تجرى تحتها أنهار
٤ يا الله بليل اعارض الغزاله ... والقصد يحصل أفوز بالجماله
٥ والبارح البارح عشاى كباس ... لا أفتلق بيدى ولا الأمراس
طلعت للحاوى بغنيت له فاس ... ازنجت الدنيا وصاحوا الناس
٦ قلبي معك يا نادر المسيله ... يا حامل البندق بلا فتيله
حبيب لا رادى ولا عمامه ... والدم ما يخرج بلا حجامه
٧ يضيفون في الغرفه جمل مقدم ... مذعور لي شاف البكار همهم
٨ كلبت يا الخادم غذاى كله ... وحميد وسط البير من يشله
٩ هذا خبر من بات عند المليان ... يصبح مرغبل به كسل وعريان
١٠ شواي توجعنا بغت بنيه ... لو غرسوا لي برزدوا عليه
١١ يا سعدي الليله ضواخليلي ... قم قيم من حضني ومن مكيلي

١٤ رَبِّي نَشَبْنَا فِي مَرَهْ كَبِيرَهْ لِي جِيت بَأَسْدَحْهَا، عَلَى عَسِيرَهْ
١٥ اَللهْ يِشْفِي كِبْدَتِي وَتِبْرَا بِاللَّحْمِ وَالذِّبَا وَحِفِنْ عَذْرَا
١٦ وَأَنَا حَمَدتُ اَللهْ مَعِي جَارَنْ وَاحِدْ كَسَحْ وِالْمِسْتَوِي عَلَى عَيْنْ
١٧ يَا اَلْمَوْت رَبَّكْ يِقْبَلَ اَلذُّفُوعَاتْ بَأَعْطِيكْ فِي اَلزَّيْنَهْ ثَمَانْ جُوَّاتْ
١٩ شَرَّفْتْ صَبِيَّهْ مِن عُلَاكْ يَا دَارْ شَرَّفْتْ مِنَ اَلرَّوْشَنْ وَقَالَتْ اَخْبَارْ
اَخْبَارْ حَتَّى اَلْعَيْلْ مِنْهَا حَارْ قَالَتْ وَرَاهَيْجَهْ بَرَكْ وَلَا شَارْ
٢٠ تَسْتَاهِلْ اَلنَّخْلَهْ لَهَا اَلْقِدَامِي لَوْمَا اَذْرَكْتَنَا مَا شَكَرْتْ زَامِي
٢١ قَالَ اَلْمَدِينِي رُدْ عَلَى بِشَرَفَهْ وَبِالسَّلَامَهْ ضَامِنًا بِخَرَفَهْ
٢٢ يَا بِنْتِي لَا قُلْتْ عَلَيْكْ لَقَدَامْ وِأَنْتَهْ تُحَامِينَا بِخَرْفَةْ اَلْعَامْ
٢٣ عَيْدِيدِ يَا حَافِظْ عَلَى دِيَارَهْ فِيهَا عَرَبْ مَا تَحْمِلْ اَلْخَسَارَهْ
٢٤ تَرِيمْ مِنْ عَادِي تَرِيمْ يَنْدَمْ فِيهَا اَلْخَضِرْ وَاَلْيَاسْ وَالْمُقَدَّمْ
تَرِيمْ لِي فِيهَا اَلْفَقِيهْ لَقَدَمْ فِيهَا عُبَيْدِ اللهْ وَعَلْوِي اَلْجَمْ
٢٥ يَا طَلِيعَ اَلتُّرْبَهْ سَأَلْ تَخَبَّرْ إِسْأَلْ عَلَى حُوبَهْ حُمَيْدْ لَخْضَرْ
٢٦ أَنَا بَحْرِي اَلتُّرْبَهْ نَظَرْتْ غُضَنِّينْ مَا حَدْ وَصَفْ لِي، غَيْرْ شُفْتْ بِاَلْعَيْنْ
عِينَتْهْ مِرِيمْ وَالْخَدَلَّجْ اَلزَّيْنْ رَقَبَهْ خَدَجْ طُولَهَا ذِرَاعَيْنْ
٢٧ عَذَيْتْ وَاوْلَادْ اَلْحَجَلْ مَطَارِحْ عِيدَانْ مِنْ كُثْرْ اَلْهُبُوبْ وَالرِّيحْ
٢٨ جُوَيْدَهْ، بَيْنْ اَلْمَرَاحْ ذَا اَلْحِينْ بَغَيْنَا نُعَازِي بَاحُمَيْدْ مِسْكِينْ
٢٩ طَلَعَتْ سَحَابَهْ رَبَّنَا نَشَاهَا بَعْدْ اَلْعَصِيرْ صَبَّتْ عَلَى بِمَاهَا

٢٠ وَٱلْمَوْتُ مَا خَلَّا قُلَيْبَ سَالِي شَلَّ ٱلْمُحِبِّينْ وَأَيْتَمَ ٱلْعِيَالِي
٢١ يَا بَا حُرَيْشْ يَا وَيْلَنَا مِنَ ٱلْمَوْتْ تَحْتَ ٱلْمَدَرْ وَلْعَادِ شَمَّعَ ٱلصَّوْتْ
٢٢ مَرَّنِ ذَا ٱللَّيْلَهْ وَكُلُّهِنْ سُودْ مِثْلَ ٱلسُّخَيْرْ مَا يَنْقَبِضْنِ بِٱلْعُودْ
٢٣ يَا سَاذِنِي يَا سَادَهْ ٱقْعُوا لِي عَسَا بَقَعْ فِي سَعْفِكُمْ حَمُولِي
٢٤ مُرَوِّحِينْ يَا رَيْتَ حَدْ مَعَاكُمْ يَقْبُضْ بِشُبَّاكَ ٱلنَّبِي كَاكُمْ
يَا وَارِدِينَ ٱلْمَا مِنِّينْ مَاكُمْ مَا نَا مِنَ ٱلرَّحْمَنْ لِي سَقَاكُمْ
عَلَى مُحَمَّدْ عَيْشِكُمْ وَمَاكُمْ يُحْضُرْ بِغَدْ وَتْكُمْ وَفِي مَسَاكُمْ
٢٥ يَا أَهْلَ ٱلْخَلَا لَا تُغْبِطُونْ ٱلْأَسْفَارْ صَلِّي عَلَى سُفْرَهْ وَحَبْلِ كُنْبَارْ
٢٦ مَوْلَا مَدُودَهْ جَا عَلَى قَعُودَهْ جَابَ ٱلْحِبَضْ وَٱلْمُشْطِ مِنْ رُدُودَهْ
٢٧ مِنْ لَا عَبَرْ لِلْحَزْمِ شُونْ نَادِمْ يَا شِبْرِ فِيهَا كَثَّرَ ٱلْمَرَادِمْ
٢٨ مَوْلَا تَرِينْ حَوَّلْ وَلَا يَذُوقُهْ سِدَّهْ شِبَامْ تَرْتَجِّ مِنْ دُفُوقُهْ
٢٩ لَا حِلَّ لَكْ يَا مَا عِدِمْ وَمَا سَرْ وَأَمَا عِدِمْ كَثَّرْ مَرَاكِبَ ٱلْبَرْ
وَلْعَادِ خَلَّا فِي بَطَاحْ مَنْقَرْ خَلَّا ٱلظَّبَانَهْ يِشْتَهُونْ عَكْبَرْ
يَا رَبْ لَا تِبْلِي بَلِيَّتِ يِسِيرْ ٱلْوَقْتْ جُوَّهْ وَٱلْعِيَالْ يِكْثِرْ
٥٠ ٱلْيَوْمْ بِٱللَّهْ مَنْبَهِي مِنَ ٱلنَّوْمْ مَا يِنْبَهِ إِلَّا لِلصَّلَاهْ وَٱلصَّوْمْ
٥١ يَا بَا رَمَادَهْ لَا تُسَايِرْ أَخْضَبْ يِدْخُلْ بِكَ ٱلْغَدْرَا يَقُولْ بَاقَبْ
٥٢ عُبَيْدْ كُلْ حَقَّكْ وَلَا تُرِيبْ شُفْ آلْ عَمَّكْ مَا بَغَوْا لَكْ ٱلْبِتْ
٥٣ يَا عِلِّيبْ بَاقِلْ بَيْنْ خَلْعْ وَنْقِيلْ عُودَكْ مُصَفَّى وَٱلْوَرَقْ مُثَاقِيلْ

٧٥ يَخْزَى ٱلَّذِى يِلْتَخْ بِغَيْرْ نَاكِخْ ذَاكَ ٱلَّذِى هُوفِى ٱلرِّمَالْ سَابِخْ
٧٦ وَرَاكْ يَاخَيْرَ ٱلْجِمَالْ تَالِى حِمْلَكْ حَدِيدْ أَوْصَنْدَلْ أَوْرِجَالِى
٧٧ لَاحَلْ لَهُ ٱللهْ يَوْمْ جَابْ يَافِعْ رَاسِى ضَرَبْ مِنْ قَرْحَةَ ٱلْمَدَافِعْ
٧٨ مِنْكِينَهْ ٱلْغَارَهْ مِنَ ٱلثُّونَانْ قَدْ أَصْبَحَتْ قَفْرَا وَغَرْبِيهَا بَانْ
٧٩ يَابِتْ عَنِّى فِى هَوَاشْ بَامُوتْ وِآنْ دُمْتْ بَا أَسْوِى عَلَيْشْ تَابُوتْ
٨٠ بَغَيْتْ حُرْمَهْ طُولْهَا بِطُولِى وِآنْ زِدْتْ شُوكُمْ قَصِيرُوا رُجُولِى

٨٢ يَا ٱللهْ بِحَقّْ ٱلْهَجَرْ وَٱلْهَجِيرَهْ وَٱلشَّمْسْ فِى كِبْدَ ٱلسَّمَاءْ مُدِيرَهْ
٨٤ إِنْ كُنْتْ تَبْغَا ٱلْحَرْثْ يَا ٱبْنَ يَغْشُوثْ شِتَاكْ بِٱلْبَلْدَهْ وَبُرْكَ ٱلْحُوتْ
٨٥ ٱلْبَرّْ مِنْ تِعْفُرُهْ وِآنْتْ مُرْتَابْ خَايِفْ مِنَ ٱلْحِلَّهْ وَجَمْعْ لَسْبَابْ
إِنْ قِدْ صَلَحْ مِثْلْ ٱلرَّصَاصْ بِنْذَابْ وِآنْ مَاصَلَحْ بِعْنَا ٱلْبَعَرْ وَٱلْكَتَابْ
ٱلسَّانِى بِشُرُدْ وَٱلظَّلِيمِ طَلَّابْ وَاخِرْ غَرِيمْ بِقَبْضْ بِلَّانَهْ ٱلْبَابْ
٨٦ لِى دَخْلَتْ ٱلْجَبْهَهْ مَعَادْ شِى زَيْنْ كُلِّ يَمَلْ حَتَّى ٱلنِّشَرْ يِمَلَّيْنْ
حَتَّى يَقَعْ بَيْنَ ٱلسِّنَاهْ هِجَّيْنْ حَتَّى ٱلْجِمَالْ ٱلْعَاصِيَاتْ يَعَطِّينْ
٨٧ سِهَيْلْ بِٱلشَّرْبَاتْ وَٱلْغَدَارِى سُهَيْلْ لِى بِشْرِى وَلَا يُبَالِى
كُلَّهْ مِنَ ٱلْمَوْلَا كَرِيمْ وَالِى ٱلْخَيْرْ بِيدُهْ سَايِرْ ٱللَّيَالِى
٨٨ إِنْ قَالَكْ ٱلْغُوَّا فِى ٱلسَّمَاكِى مَاتِسْمَعْ ٱلدَّاعِى مِنَ ٱلْمَنَاكِى
تِسْمَعْ هَبُوبْ ٱلرِّيحْ لَهْ عَوَاكِى وَٱلنَّاسْ مِنْهُمْ مُعْتَرِفْ وَشَاكِى

٦٩ حَبِيبَكْ لِلْغِرِي عَدِيمْ لَشْوَازْ سَيِّبْ شِتَاوِي رَاحْ يِغْفَرْ آبْرَازْ
٧٠ لَاعَوَّدَ ٱلْبَيَّاعْ يَوْمْ جَابِشْ جِيتِي مِنَ ٱلْهِنْبَرَنْ لَاغْرَابِشْ
٧١ كَانَتْ تَرِيمْ وَامْسَى تَرِيمْ كُحْلَانْ وَامْسَتْ بُحُورَ ٱلْعِلْمْ لِٱبْنْ حَجْلَانْ
٧٢ يَاطَيْبِي لِي عَامِدْ إِلَى ٱلدُّبَيَّاتْ شُفْتَ ٱلْمَرَافِقْ فِيهْ وَٱلطِّيَالَاتْ
٧٣ فِي ٱلرَّبِيضَهْ قَدْ بَنَوْا عَوَالِي فِيهُمْ صَفَا يِبْغُونْ شِيبْ عَالِي
٧٤ وَالَ ٱلسُّوَيْرِي كُلُّهُمْ مَلَّايِخْ عَلَى ٱلْمُعَلِّمْ سَرْقُوا ٱلنَّسَايِخْ
٧٥ وَالَ ٱلْعُرَفْ يَهْوُونْ شُرْبَةْ ٱلْبُزْ يَاسَعْدْ مِنْ هُوعِنْدَهُمْ وَيَحْضُرْ
٧٦ وَالَ مَسِيلَهْ عِنْدَهُمْ عِبَادَهْ فِيهَا لَنَا ٱلْجَوَّادْ خَيْرَ ٱلسَّادَهْ
٧٧ ٱلشَّمْسْ غَابَتْ غَيَّبَ ٱللهْ ٱلشَّرْ وَكُلْ حَايِدْ مِنَّا نَوَخَّرْ
٧٨ مِنْ قَوْزْ زُبَيْرَهْ لِلْفَقِيهِ جَنَّهْ وَبَامَكِيرَهْ فِي ٱلشُّوَاءِ وَنَّهْ
٧٩ ٱلسَّاقِيَهْ بَابْنِي لَهَا مَعَاصِيرْ فِي قَلْبْ مَنْ يَسْمَعْ كَمَا ٱلشَّاصِيرْ
٨٠ شُبَّانْ فِي ٱلْحَوْطَهْ لَهُمْ عَلَّايِمْ لِي تَيْهُوا فِي ٱلْكَوْنْ كُلْ نَايِمْ
٨١ يَا ٱللهْ بِعَوْدَهْ فِي سُكُونْ زَايِدْ فِي كُلِّ شَيْ بَارْجَعْ ٱلْعَوَايِدْ
٨٢ يَا أَهْلَ ٱلْكَرَمْ يَاسَعْدْ مَنْ تَكَرَّمْ فِي عَشْرْ ذِي ٱلْحِجَّهْ وَفِي مُحَرَّمْ
٨٣ يَاسَعْدْ مَنْ قَدْ حَلْ فِي ٱلْمَدِينَهْ تَرِيمْ لِي تَحْوِي لِكُلِّ عِينَهْ
تَرِيمْ يِسْعَدْ مَنْ أَمِسْتْ بِلَادَهْ فِيهَا ٱلْهَنَا وَٱلْعِلْمْ وَٱلْعِبَادَهْ
يَا ٱللهْ بِذَرَّهْ مِنْ مَحَبَّةِ ٱللهْ أَفْنَا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَا ٱللهْ
٨٤ يَاسَامِعِينَ ٱلصَّوْتْ رُدُّوا ٱلصَّوْتْ دَرْجُوا عَلَى ٱلْجَوْبَهْ وَزِيدُوا صَوْتْ
٨٥ ٱلصَّيْفْ جَنَّهْ وَٱلشِّتَا جَهَنَّمْ ٱلصَّيْفْ فِيهِ ٱلْقَرْعْ وَٱلْمُخَتَّمْ

٨٦ أَمَا أَنَا طَيْبِنِي مَا طَيْبِينْ مِثْلُهْ قَدْ جَابْ عِيدِي بَزْبَرِي بِحَبْلُهْ
٨٧ نِسْتَاهِلْ ٱلْعُودِمْ حَشَفْ وَبُزْعُمْ لِي غَرْبِهَا قَبْلْ ٱلْجِمَالْ يَضْرُمْ

٤٤

خَيْبَعَانْ

أَبْدَيْت بِعَظِيمِ ٱلْمِنَّنْ يَاخَيْبَعَانْ (٤) عَالِمْ بِسِرِّى وَٱلْعَلَنْ
يَاخَيْبَعَانْ (٤)
وَٱشْنِى بِعَوْنِى فِى ٱلْمِحَنْ يَاخَيْبَعَانْ (٤) بُوفَاطِمَهْ جِدِّ ٱلْحَسَنْ
يَاخَيْبَعَانْ (٤)

لِعَايِشَهْ هَاجِسْ شَحَنْ مَرْكَبُهْ مِنْ بَنْدَرْ عَدَنْ
جَوَابْ كُلْثُومْ ٱقْتَرَنْ هَيَّا ٱسْمَعُوا يَا أَهْلَ ٱلْفِتَنْ
أَبْيَاتْ بِشَفَيْنَ ٱلْحَزَنْ غَنِّينْ يَاحُمْشَ ٱلسِّتِينْ
بِٱلْقَوْلْ فِى ٱلْقَلْبِ ٱلْحَسَنْ جَعْدَهْ مُرَاسِلْ عَالِمِتَنْ
بِٱلْمِسْكْ وَٱلْعُطْرِ ٱنْدَهَنْ مِنْ شَافْ لَعْيَانِ ٱفْتَتَنْ
حِيطَهْ بِسَيِّدْنَا ٱلْحَسَنْ مِنْ حَاسِدِيهْ أَهْلَ ٱلْفِتَنْ
وَابْوِى ذُخْرِى وَٱلْمَكَنْ يِعْطِى هَوَلْ مِنْ غَيْرْ مَنْ
مِثْلَ ٱلْخُضُرْ عِنْدَهْ ثَمَنْ وَحْسِينْ عَ ٱلْجُودَاتْ حَنْ
فِى ٱلْعِلْمْ شَلْ مِنْ كُلِّ فَنْ وَزِينْ لِى خِلْفَهْ حَسَنْ
عَدْ رَسْ فِىَّ أَوْصَافَهْ تَعَنْ يِعْقُوبْ لِى مَالَهْ ثَمَنْ
صَالِحْ وَسَطْ قَلْبِى سَكَنْ سَقَّافْ لَاشَافْ ٱلْمِحَنْ
سَالِمْ إِلَى عِزِّى رَكَنْ وَٱلْقَلْبْ بِٱلْخَالِ ٱسْتَعَنْ

١٥ وَٱعْمَام يَجْلُونَ ٱلْحَزَنْ لِحْبَا بَأَتِى عِنْدِى مَكَنْ
زَهْرَا كَفَتْ نَحْنَ ٱلْمِحَنْ وُٱمِّى لِمَجْلِسْهَا تَعَنْ
شَلَّتْ ثَقَلْنَاعَ ٱلْمِتَنْ زَهْرَا لَهَا فِى ٱلْبَسْطَ فَنْ
وَٱلزَّيْن فِيهَا وَٱلْفِطَنْ مُزْنَهْ بِهَا زَالَ ٱلشَّجَنْ
يَاحَرْف مَعْدُومَ ٱلثَّمَنْ سَلْمَا بِهَا بُقْعَهْ زِيَنْ
٢٠ يَاغُصْن فِى رَوْضَهْ تَثَنْ لِبِنْت شَيْخَ ٱلْقَلْب حَنْ
وَلِحُسْن تَامِيَّهْ تَعَنْ وَلِزَيْن عَلْوِيَّهْ تَعَنْ
فِيهَا ٱللَّطَافَهْ وَٱللَّدَنْ فَطَمْ مَعِى طِبْ ٱلْبَدَنْ
لِى فِيهْ حَسِينَهْ حُسْن ظَنْ بِٱلْفَرْض قَامَتْ وَٱلسُّنَنْ
بَخْدِيجَةَ ٱلْقَلْبِ ٱسْتَعَنْ ٱللهْ لَهَا بَارَكْ وَمَنْ
٢٥ (١١)

٢٧ قَامَتْ بِعِزِّى مِنْ زَمَنْ صَلُّوا عَدَدْ مَارَعْدْ حَنْ
عَلَى ٱلنَّبِى جَدْ ٱلْحَسَنْ